مسرحيات مختارة

وصول الآلهة

تأليف الكاتب الإسباني : بويرو باييخو

ترجمة إلى العربية : د. صلاح فضل

مكتبة العرب
www.libraray4arab.com/vb

الهيئة المصرية العامة للكتاب

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

مسرحيات مختارة

وصول الآلهة

تأليف الكاتب الأسباني : بويرو باييخو

ترجمها إلى العربية : د. صلاح فضل

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٦

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

مقدمة

ازدهرت الحركة الرومانتيكية خلال القرن الماضى فى المسرح الاسبانى ووصلت الى قمة النضج والتبلور عند مؤلف مثل « خوسيه ثوريا » الذى التقط أحد نماذج المسرح الاسبانى وهو « دون خوان » من ثنايا التاريخ والأدب وأودع فيه كل مكنونات الرومانتيكية من عواطف منهمرة وتمرد دينى وميتافيزيقى ونزعة سادية عند رجل لا يحقق ذاته الا بقتل ضحاياه من العذارى ، قتلهن حبا دون أن يختلج قلبه بعاطفة أو ينبض بالرحمة. نفث « ثوريا » فى هذا النموذج من الحياة والخصوبة ما جعله من أعمق وأشهر نماذج المسرح العالمى ، وحقق به لونا من القداسة الأدبية قلما يتوافر لغيره ، اذ أصبح

منتديات مكتبة العرب
www.libraray4arab.com/vb

عرضه سنويا على المسرح القومى فى مدريد خلال شهر نوفمبر من كل عام أشبه بشعيرة من شعائر الفن المقدسة التى ينبغى مراعاتها ، وأصبح شهود هذه المسرحية من الشيوخ والشباب يجدون فيها مهرجانا للحب وعيدا للفن وصلاة للمسرح العظيم •

وعندما أطل القرن العشرون كانت قد نبتت رءوس جديدة فى الأدب الاسبانى ، خاصة تلك المجموعة من الشباب القلق الغاضب التى سميت فيما بعد بجيل « الثمانية والتسعين » • وهو العام الذى أفاقت فيه اسبانيا بعد فقد آخر مستعمراتها وراء البحار على انهيار أمجادها القديمة ، وأدرك أبناؤها فى حركة من يقظة الضمير أو « أخذ الضمير » على حد تعبيرهم أنه لا بد لهم من مواجهة الواقع المرير بشجاعة واكتشاف الشخصية القومية بصدق وتجديد كل أساليب الفكر والحياة لمواكبة العصر الحديث • ومن الطريف أن أهم وثيقة أدبية تجمع حولها هؤلاء الفتية كانت بيانا أصدروه احتجاجا على منح أول جائزة « نوبل » فى الآداب لكاتب اسبانى هو « ايتشيجاراى » الذى كان يمثل فى نظرهم

منتديات مكتبة العرب
www.libraray4arab.com/vb

مخلفات العقلية المتهرئة التى لا تملك رؤية قومية شاملة تدرك بها موقف الحاضر من الماضى ولا بصيرة انسانية ذكية تنفذ بها الى المستقبل • ولمعت أسماء عمالقة كبار بين هؤلاء الشباب وعلى رأسهم « أونامونو » الذى تعد كتاباته حلقة هامة فى تطـور الفـكر الوجودى من « كيركجارد » الى « سارتر » والذى مارس بأصالة فذة معظم أجناس الأدب من قصة ومسرح ومقال وقدم تجارب رائدة فيها • و « أنطونيو ماتشـادو » قيثارة اسبانيا العذبة وشـاعر اشبيلية العظيم • ثم « بايى انكلان » الكاتب الظاهر الذى سبق عصره بأمد بعيد وكتب الى جانب مجموعاته القصصية الهامة أشكالا مسرحية طليعية لا زال المخرج الذى يقترب منها حتى الآن يرتجف من جرأتها المبدعة وأعماقها الفكرية الهائلة ابتداء من ثلاثيته الشهيرة « الكوميديا البربرية » التى جسم فيها تمزق بقايا الاقطاع فى المجتمع البرجوازى الحـديث وقدم لوحات تاريخية حية حتى تلك المسرحية التى بلور فيها نظريته الجمـالية والفنيـة عن « القبيح المحـال » « Esperpento » هذه المسرحية هى « أضـواء

بوهيمية » التى نرجو أن نقدمها فى هذه المجموعة من روائع الأدب الاسبانى ، وهى نظرية تمس فى الصميم قضية انعكاس الواقع فى الأدب ولو من خلال المرايا المقعرة والمحدبة كما تناولها بعد ذلك فلاسفة الواقعية الحديثة .

وكانت كل أعمال « بايى انكلان » القصصية والمسرحية ميراثا هائلا تربى عليه تلميذ عبقرى هو « جارثيا لوركا » الذى لم يكن نباتا شيطانيا فى حقل الأدب الاسبانى كما يحلو للبعض أن يصوره ، وانما كان محصلة فذة لتكوينات متعددة ، وعندما عرضت بعض مسرحيات هذا المعلم الكبير فى انجلترا أخيرا هز بعض النقاد الانجليز رءوسهم قائلين : « حسنا .. لكنها متأثرة بروح لوركا الى حد بعيد » ! وكان ذلك مفارقة مضحكة ومؤسفة ، لأنها قد كتبت ولوركا لا يزال يلعب فى لفائف المهد . بيد أن عبقرية هذا الصبى كانت تكمن بالذات فى قدرته على استلهام الروح الشعبى فى شعره، وتفجير طاقات الحب لمدينته الأثيرة « غرناطة » بكل عطرها العربى الفواح وقوامها الدقيق الأنيق الذى يعشق

منتديات مكتبة العرب
www.libraray4arab.com/vb

« التصـــغير » فى كل شىء كما أبرز لوركا فى بعض دراساته الذكية • واستطاع بحفنة من الأعمال المسرحية أن يقف فى الصف الأول من الكتاب العالميين ، احداها «ماريانا بينيدا» لا تتعدى أن تكون أنشودة حب للوطن وحريته تطلقها أرملة حالمة وهى تطرز علم الثوار وتبتسم للمقصلة • والأخرى « الحذاءة العجيبة » مشاهد غنائية شاعرة مفعمة بالمرح الأسوان وروح الفكاهة العميقة• والثالثة « يرما » دراما امرأة عاقر اجتاحتها أشواق الحياة الدافئة ورغبة الاخصاب القاتلة • ثم « عرس الدم » وهى نشيد للجموح الذى يتآكل الجواد بحرقته رامزا للمحب القديم الذى يحيل العرس لمأتم ، وأعمق ما فيها هو التعبير الدرامى عن ارتباط انسان الريف بالأرض واستحالة الفرح البرىء • ثم « بيت برناردا ألبا » آخر أعماله وأنضجها ، وقد ارتطم فيها رأس لوركا بحائط التقاليد الاسبانية التى تضحى بالحياة من أجل الشرف مثلها فى ذلك مثل تقاليد شعوب منطقة البحر الأبيض المتوسط ، وتحيل البيت الى سجن خوفا من كلام الناس، فهناك زيف هذه القيم وفجر كل طاقات الحب والشعر فى

منتديات مكتبة العرب
www.libraray4arab.com/vb

وجدان عدة فتيات قدر لهن أن يكتوين بجمر هذه التقاليد • ومات لوركا مطعونا بخنجر صغير فى بداية الحرب الأهلية الاسبانية قبل أن يتم ثلاثية مأساوية كان قد شرع فى كتابتها عن « سدوم » القرية الظالمة • واذا أردنا أن نلخص فى سطور تجربة لوركا الشعرية والمسرحية لم نجد أوقع من كلماته نفسها التى وصف بها هذه التجربة فقال « ان رؤيتى تتميز بأنها طفولية ، قمرية ليلية » وكأنه كان يدرك بحدس الملهمين أن طفولته لن تشيب وأن قمره لن يغيب وأن ليله طويل طويل •

وقد عاصر لوركا مؤلف مسرحى آخر عاش حتى شاب الغراب ، وكتب عدة عشرات من المسرحيات ونال من الشهرة والمجد فى حياته الكثير وهو « خاثينتو بينابينتى » الذى حصل على جائزة نوبل فى العشرينات (١٩٢٢) والذى أتقن — لا تكوين المسرحيات فحسب، وانما صنع الجمهور نفسه وشغل الناس بأعماله ردحا طويلا من الزمن ، ولكنه كان ينتمى الى « عرق » آخر من الكتاب ، كان أستاذا فى البناء المسرحى أو « نجارة العبقرية » ينقذه من حمأة المؤلفين ذوى المواهب المتوسطة،

منتديات مكتبة العرب

www.libraray4arab.com/vb

ومع ذلك شغل الناس بمسرحه دهرا حتى اذا مات فى الخمسينات كان النسيان جزاء وفاقا له وحكما لا يخطىء عليه • غير أن بعض أعماله مثـل « ليلة السـبت » و « الحب الآثم » و « دنيا المصالح » ــ التى ترجمت الى العربية ــ لا تزال ترف فى ذاكرة الأدب المسرحى لما أحدثته من دوى وطنين فى حينها يعود الى تمثيلها لفترة خاصة من اهتمامات الناس هناك ورقعة معينة من حياتهم وفتات تقاليدهم الصغيرة •

وكان آخر عمالقة المسرح الاسـبانى فى النصف الأول من هذا القرن هو مؤلف « ذو مقاس » عالمى ــ كما يقولون أيضا فى لغتهم ــ هو «أليخاندرو كاسونا» الذى هاجر من وطنه عندما اسـتعر فيه جحيم الحرب الأهلية وأصاب حظا من المجد الأدبى والشهرة العالمية من مهجره فى أمريكا اللاتينية ، وربما كان ذلك بفضل المهجر قبـل أى شىء آخر ، وقدم عـددا من الأعمال المسرحية الهـامة ترجم بعضها الى اللغة العربية مثـل « سيدة العجز » ويعالج فيها بطريقة رومانسية مشكلة الموت وتقاليد اقليم « جاليثيا » و « مركب بلا صياد »

منتديات مكتبة الغرب
www.libraray4arab.com/vb

التى يقف فيها على حافة الوهم ويلبس شيطان «فاوست» ثيابا عصرية ليضارب فى سوق الأوراق المالية ويمعن فى جدل شبه نظرى عن النية والخطيئة • وهى أعمال تتسم فى جملتها بطابع هروبى حالم وان كانت لا تخلو من رهافة ودقة تركيب وشاعرية فى المواقف والشخصيات ، ولعل أكثر مسرحياته ايجابية بعد مسرحيته المبكرة « ناتاتشا » هى « الأشجار تموت واقفة » التى تنبض بكثير من القيم البناءة والمدلولات الانسانية العميقة •

● شخصية بويرو باييخو :

فاذا تجاوزنا هذا الجيل الى الذى يليه ، وجدنا أن أبرز من أنجبهم المسرح الاسبانى المعاصر وبعث على يديه هو « أنطونيو بويرو باييخو » الذى ولد فى مدينة صغيرة قرب مدريد هى « جوادا لخارا » أو « وادى الحجارة » كما كان يسميها العرب ، ولد فى سبتمبر سنة ١٩١٦ ، وعاش طفولته وجزءا من صباه حتى حصل على الشهادة الثانوية واستأنس فيه أهله مواهب فنية خاصة جعلتهم يلحقونه بأكاديمية « سان فرناندو » للفنون الجميلة عام ١٩٣٤ لدراسة الرسم، ولكن نشوب

الحرب الأهلية بعد ذلك بعامين حال بينه وبين اتمام تلك الدراسة ، وكان أبوه مهندسا مثقفا ذا ميول يسارية، وكان الفتى نفسه ذا نزعة يسارية متوثبة فانضم الى صفوف الجمهوريين متطوعا فى الحرب ، وكان له دور بارز أهله فيما بعد لأن يدان ويصدر ضده حكم بالاعدام ، ولكنه خفف الى السجن الذى ظل فيه عدة سنوات ، وبعد خروجه لم يستأنف دراسة منتظمة ، بل عكف يمارس مهنته الأولى وهى الرسم محاولا أن يكسب قوته منها على صعوبة ذلك فى مجتمع درج على أن يكون لكل أسرة رسام خاص كما أن لها حلاقا أو حائكا أو غير ذلك ، فكثرة الهواة هناك ترخص من شأنهم وان كان التقدير للنابغين منهم هو خير منقذ من الزحام • وجد « بويرو » أن يده ــ على حد تعبيره ــ أعجز من أن تجارى فكره ، وأن الرسم لا يتيح له كل ما يطمح اليه من عمق التعبير وشمول الرؤية والتزام الضمير ، اكتشف أن الكلمة هى لونه المفضل ، هى فرشاته القادرة ، وأن الدراما على وجه الخصوص هى الاطار المناسب لأن يصب فيه تجاربه الانسانية

والشخصية بكل أبعادها ، فهجر الرسم ولكنه ظل رساما في أعماله المسرحية ، كما خرج من السجن ولكنه بقى أسيرا طول حياته لتجربة الحرب المروعة وترسيباتها الكثيفة • فاذا تأملنا ملامح « بويرو بابيخو » الفكرية والفنية وجدنا أن هذين الخطين يمثلان أعمق أخاديد حياته وأبعدها أثرا فى كل انتاجه ، كانت مواجهته للموت أثناء حكم الاعدام ضده تجربة فذة طبعت وجدانه بصبغة مأساوية جهد طول حياته أن يفلسفها وأن يتجاوزها ، ولكنها كانت قد شكلت روحه وحددت مساره ، فظل جادا حتى فى مرحه ، متأملا حتى فى لعبه ، ملتزما بقضايا عصره ومشاكل جيله حتى نخاع عظمه • وكانت موهبته كرسام تشكيلى هى التى طبعت أسلوبه الفنى فى المسرح بأهم خصائصه ، وجعلته تجريبيا يرفض الأشكال المسبقة والصيغ الجاهزة يقدم على كل عمل كأنه مغامرة بمفردها يكتشف أثناءها الشكل الملتحم بمضمونه والصيغة النابتة من محتواها • وقد كان حذرا فى بداياته حتى لا يخلط العناصر التشكيلية بفن الدراما كى لا يستحيل الى مجرد محاكاة للسينما ، لكن بعد نضجه واقتداره استفاد من

خبرته فى الألوان ومعرفته بالتكوينات وفهمه للأضواء والظلال وادراكه لأسرار التشـــكيل ــ استفاد من كل ذلك فى أعماله المسرحية ، وقدم عمالقة الفن الاسبانى ــ بيلاثكيث وجويا ــ على خشبة المسرح جاعلا من الأول نموذجا للفنان التقدمى الذى حمل هموم عصره وجاهد الظلم وكبت الحريات من داخل القصور نفسها • وجاعلا من الآخر قنطرة عبر عليها الفن من شـــاطىء التقليدية والأكاديمية الى جزر التجريبية الحديثة •

وكان أول عمل مسرحى ــ قصة سلم ــ قدم لبويرو باييخو ســـنة ١٩٤٩ فاتحة مرحلة جـــديدة فى المسرح الاسبانى ، عكف بعدها مؤلفنا على ممارسة هذا الفن البديل باخلاص وترهب لا نظير لهما ، لم يمارس أى عمل آخر ولم يشغل نفسه بسوى الكتابة للمسرح يعيش منه وله ، ومع ذلك فهو مقـــل لا يزيد ما يكتبه عادة عن مسرحية فى السنة ، وقد يصاب بفترة من التأليف فتمضى سنتان دون أن يفتتح شيئا جديدا ، فاذا كان الشـــاعر يقول :

بغاث الطير أكثرها فـراخا

وأم الصـقر مقـلاة نزور

فان هـذا المؤلف الجاد المترهب ينتمى الى جنس الصـقور بالفعل ، فبينما يكتب غيره عشرات الأعمال اذ يخرج هو بمسرحية واحدة تستقطب اهتمام المفكرين والجمهور على السواء وتقوم حولها المعـارك الأدبية والفنية التى لا تهدأ الى خروج غيرها فى العام القابل •

وبالرغم من موقف الحكومة المتحفظ تجاهه نظرا لماضيه الثورى وحاضره الملتزم الأمين ظل يظفر باحترام السلطات له حتى اختاره « المجمع الأدبى الملكى » عضوا عاملا فيه سنة ١٩٧١ فاعتبر هذا اعترافا رسميا بأكبر كاتب اسبانى معاصر تجاوزت شـهرته حدود بلده وترجمت أعماله لكل اللغات الحية وألفت عنه كتب عديدة فى أمريكا وأوربا •

● أبعاد مسرحه :

أهم ما يتميز به « بويرو باييخو » كمؤلف مسرحى هو وعيه الشديد بأصول فنه وبحثه الدائب فى التراث

الانسانى عامة ، وفى الاغريقى والاسبانى بصفة خاصة حتى استطاع أن يكون رؤية فنية ناضجة ونظرية مسرحية طموحة • استلهم روح المسرح الاغريقى ونادى بضرورة بعث المأساة كأصفى وأقوى صيغ الأداء المسرحى وأكثرها التزاما وجدية • وتناول بالدراسة والتحليل عناصرها الأولية من صراع ونهاية فاجعة وموسيقى وجوقة وكيفية تطورها على مر التاريخ والشكل الذى استقرت عليه فى العصر الحديث • الا أن الاضافة الحقيقية التى أثرى بها هذا المؤلف مفهوم المأساة هى اصراره على جعلها مفتوحة للأمل موحية بالرجاء داعية الى التفاؤل • وهو لا يفعل ذلك بطريقة خطابية متكلفة كما نرى عند بعض اليساريين بحكم التزامهم ومستقبليتهم ، وانما يلتقط خيوطه من أقدم نسيج ويبرهن فى دراسة مطولة نشرها فى « دائرة معارف المسرح » على أن الاغريق أنفسهم قد أودعوا كثيرا من مآسيهم نبرة تفاؤل خالص كما نرى فى « ايفيجنيا فى تاوريد » وغيرها • وهو يفهم الصراع فى المأساة على أنه « يحتدم عادة بين الحرية والضرورة أو بين الانسان والطبيعة أو بين الفرد والجماعة » وفى كل

ذلك فان لب المأساة هو الأمل ، وهو أمل ذو شعبتين : أمل فى الحلول الحيوية لمشاكل الانسان ، وأمل فى التبرير الميتافيزيقى للعالم • غير أنه مع ذلك لا يخلو من الشك الذى يعتبر الوجه الآخر لليقين •

ولا يتسع المجال الآن للافاضة فى بقية آراء بويرو النظرية وحسبنا أن نلقى نظرة على انتاجه الفنى لنحدد منه موقع « وصول الآلهة » التى نقدمها لقارىء العربية• فنجد أن أعمـــاله الدرامية تتوزعها أربع مجموعات ، أولاها المسرحيات التى تعتبر « وثائق اجتماعية » تتناول قضايا الاحباط والاستلاب فى المجتمع الرأســـمالى ابتداء من « قصة سلم » التى تنصهر فيها مشكلة الزمن الوجودية بمشكلة جيل ضائع فى معركة عقيمة مع النظم البرجوازية ، الى « اليوم عيد » التى تتناول ظاهرة الأمل الزائف الذى يراود الطبقات المكافحة المطحونة فى الغنى المفاجىء عن طريق جوائز اليانصيب وما يتخلل نفوسهم أثناء ذلك من تعفن يكاد يطمس معـــالم النبل الأصـــيل فيها • ثم « الكوة » تلك المسرحية الفذة التى ضغط بويرو فيها على مشكلات ما بعد الحرب وهى مشكلات

ذات طابع انسانى وأخلاقى ، والتى اقترب فيها الى حد بعيد من تكنيك « بريشت » بعد أن اتخذ موقفا معارضا له • اقترب منه بعد تأويله وتفسير نظرية « التباعد » لديه على غير ما درج الناس على فهمه • وساعد على هذا التأثر أنه كان فى تلك الفترة قد أعاد صياغة رائعة بريشت الشهيرة « الأم الشجاعة » وقدمها لجمهور المسرح الاسبانى فانعكست آثار هذه المعايشة التى أكدتها بعض دراساته النظرية عن رائد الواقعية الاشتراكية فى المسرح الأوربى الحديث فى أعمال « بويرو » خاصة فى مسرحية « الكوة » هذه •

أما المجموعة الثانية فهى تقع « داخل الاطار التاريخى » ويقدم فيها المؤلف رؤيته للجذور العميقة التاريخية للأوضاع الراهنة ، وقد تناول فيها بعض المراحل والشخصيات الثورية فى تاريخ الفكر الاسبانى، مثل مرحلة التنوير التى تزعمها الوزير الايطالى « ايسكيلاتشى » فى مسرحية « حالم من أجل الشعب »، ومثل « الوصيفات » التى عرضت لرسام اسبانيا الكبير

«بيلاثكيث»، و «حلم العقل» التى عرضت لحياة «جويا» وسنعود اليها بعد قليل •

وفى المجموعة الثالثة التى تتسع لتقديم هموم « بويرو » الميتافيزيقية ونظرته الى طبيعة الانسان وأشواقه وقيوده ، خاصة قيوده هذه ، يتضح منها أن الانسان عند مؤلفنا فى جوهره ملغز وشاك وأنه مسئول عن مصيره • ومن نماذج هذه المجموعة « فى الظلمة المتقدة » و « أوراق اللعب المقلوبة » وفى النهاية نجد المجموعة الرابعة التى تمس الحدود الفاصلة بين « الحلم والحقيقة » ولا تنضج فيها اهتمامات « بويرو » النفسية والوجودية فحسب ، وانما نرى فيها عمق ارتباطه بتراث المسرح الاسبانى من ناحية وسعة ادراكه لأسرار الوجود الانسانى الذى يتخطى الواقع الحسى الملموس من ناحية أخرى ، ومن أهم أعمال هذه المجموعة مسرحيته عن « بينلوبى » « غازلة الأحلام » و «ايرينى والكنز » و « مغامرة فيما هو رمادى » ••

ويهمنا فى هذه السطور السريعة أن نركز على بعض وسائل الأداء الفنى عند « بويرو » كنموذج لتكنيكه

خاصة تلك التى نمت وتطورت ووصلت الى ذروة نضجها فى أعماله الأخيرة • وأهمها استخدامه الذكى لبعض مظاهر العجز البشرى فى شخصياته المسرحية مثل الصمم والعمى ، استخدام يتجاوز فيه مجرد كونها عاهات تدمغ الشخصيات التى تتصف بها بطابع خاص لتصبح رموزا لمعان كلية شاملة وتجسيدا لبعض الدلالات التجريدية ومفتاحا للموقف الدرامى كله •

استخدم الصمم فى مسرحيات « اليوم عيد » و « اوراق اللعب المقلوبة » و « حلم العقل » • وتدور أحداث المسرحية الأولى على سطوح منزل متواضع فى مدينة اسبانية صبيحة أحد أيام الأعياد التى تعلن فيها نتائج مسابقات « اليانصيب » وتطالعنا فى بدايتها شخصية قارئة الكف « دونيا نيبيس » وهى تنفث فى روع زوارها أنه لا بد لهم من الأمل مهما طال الانتظار•

وتتشابك مصائر الشخصيات وتتعقد المسرحية عندما نعرف أنهم كانوا قد اشتركوا فى ورقة «يانصيب» وكلفوا احدى الجارات بشرائها وأن الرقم الذى قد أخبرتهم به ربح الجائزة الأولى ، ثم لا نلبث أن نكتشف

أنها خدعتهم وأخبرتهم برقم زائف اذ أنها لم تشتر شيئا وأنفقت ما أعطـوه اياها على مطالبهـا الضرورية هى وابنتها • ويوشك الجيران فى غمرة اليأس أن يفتكوا بهذه المسكينة فى مشاجرة حادة لولا تدخل واحد منهم «سيلبيريو» بطريقة كيخوتية واضحة لانقاذها وحمايتها• وهو نفسه شخصية اسبانية غريبة من تلك التى يصدق عليها المثل القائل « سبع صنايع والبخت ضايع » فهو نجار وسباك وصانع لعب ومخترع صغير وكل شىء •• ولكن مأساته تكمن فى طبيعة علاقته بزوجته « بيلار » • هـذه الزوجة الصـماء المحبة الودود التى تطوى فى حناياها حزنا دفينا على ابنة لها من رجل آخر فقدتها منذ أعوام ، ويعترف « سيلبيريو » أمام زوجته التى لا تسمعه بطبيعة الحال بأنه هو المسئول عن موت الطفلة وعندما يصـل به العذاب النفسى الى مداه ويقرر أن يعترف كتابة لزوجته تتلقى هذه ضربة عشواء فى المشاجرة السابقة تقضى عليها فيجلس صاحبنا عند رأسها يناجيها وهى فى العالم الآخر أن تغفر له خطيئته فربما كانت تسمعه بعد أن فارقت الحياة ! وليس صمم « بيلار »

جسيدا لصعوبة التواصل بين الزوجين فحسب وانما هو رمز للضمير الانسانى المعذب وتجاهل القدر الأصم لحاجات المقهورين •

وفى مسرحية « أوراق اللعب المقلوبة » التى تقدم بطلة شديدة الشبه بنوريا بطلة ابسن فى مسرحية « بيت الدمية » على اختلاف العملين فى الموضوع والمواقف وكل التفاصيل نجد الشخصية الصماء هى « أنا » أخت البطلة « أديلا » التى تعيش معها فى بيت الزوجية الفاشل لأنه بنى على أساس من الغيرة والتحدى ، غيرة دفعت « أديلا » بعد فشلها فى الحفاظ على خطيبها الواعد الذى كانت قد انتزعته من أختها « أنا » الى الزواج من أحد رفاقه العاديين لتثبت له أن بمقدورها أن تصنع منه شيئا ذا قيمة ولكن التحدى لا يجدى ويظل الزوج فاشلا مخفقا فى حياته العلمية والعائلية حتى يقرر يوما أن يكشف أوراق لعبته مع زوجته ويصارحها بأنها لم تحبه هو أبدا وأنها تزوجته عنادا • وأن حسده لخطيبها السابق والذى أصبح شخصية مرموقة هو الذى ما زال يعوقه حتى الآن • وتظل شخصية « أنا » الصماء ظلا أخرس

على طـول المسرحية يعطى لـكلمات الآخرين معناها ولتصرفاتهم أبعادها ويضفى مناخا من الغموض والمأساوية على العمل كله ، لأن صـممها ليس الا نتيجة لصدمة عصبية أصيبت بها عقب اختطاف أختها لحبيبها وتضييعه • ولكن الصمم يرقى الى ذروته من « الدرامية » ويصبح الأداة الفنية الأولى فى مسرحية « حلم العقل » التى يعرض فيها «بويرو» لمرحلة أخيرة من حياة رسام اسبانيا العظيم « جويا » وهو يعيش حبيس صـممه ومطاردة السلطة الفردية المطلقة له • وكان وقوع المؤلف على هذه الحيلة الفنية الفذة هو وسـيلته لأن يعرض الأحداث والأشخاص من خلال رؤية جويا لهما •

ففى حضرة الفنان العظيم يستحيل المسرح الى تمثيل صامت ، فنحن لا نسمع مثل « جويا » ولا تصل الينا الا كلمـاته هو ، ونعـرف مدلول الحوار الأصم من الاشارات والحركات والمواقف التى يغيب فيها البطل فنسترد سمعنا ونطلع على ما يجرى من أحداث • وليس الصمم الذى يصاب به المشاهد عند حضور البطل — فى أقوى مظاهر المشاركة التى تعارض نظرية بريشت

التباعدية ـ الا وسيلة لادماجنا فى دنياه الداخلية ، فان كنا لا نسمع من يحدثونه فى الواقع الحسى القريب فنحن نسمع أصواتا تأتى من عالمه العقلى العميق ، أصواتا تناجيه وأخرى تحذره وثالثة تسخر منه أو ترعبه • بعضها ينبعث من الهواء وبعضها الآخر يأتى من لوحاته المعلقة التى تلعب دورا رئيسيا فى نمو الحدث والتطور النفسى للفنان ، ويصبح الصمم فى هذه المسرحية هو القنطرة التى يعبر عليها العمل الى شاطىء « اللامعقول » ليجعله مبررا مفهوما شديد الوضوح والمعقولية ، فلو نسينا للحظة أن « جويا » أصم لاستحالت المسرحية الى هذيان داخلى محموم ورؤية مستبطنة مغرقة فى لا معقوليتها واستحالتها •

أما الحيلة الفنية الأخرى المتصلة بمظاهر العجز البشرى التى برع « بويرو » فى استعمالها فهى الاعتماد على « العمى » ، وهى حيلة أثيرة لدى المؤلف منذ بداياته حتى الآن ، وقد نماها وطورها ووصلت الى أذكى وأدق صورها فى مسرحية « وصول الآلهة » هذه ، غير أنها فى أولى مسرحياته كتابة « فى الظلمة المتقدة »

كانت تعد دراسة واعية لمجتمع المكفوفين : اذ تقدمهم لنا فى أحـد مراكز التـأهيل المهنى النموذجية وهم يمارسون الدراسة والرياضة واللهو كأنهم مبصرون حتى يلتحق بمركزهم فتى متمرد « اجناثيو » يعتبر اندماجهم فى اللعبة هروبا وتعودهم على العمى يأسا وممارستهم لأنشطة المبصرين خداعا للنفس وتزييفا للواقع • وتؤثر أفكاره المتمردة على روح الجماعة ، ولا يلبث أن يدخل فى صراع مع زعيمهم « كارلوس » الذى ينادى برفع الروح المعنوية لهم وتكيفهم مع العمى ، يـدخل فى الصراع عامل آخر هو تنافسهما على حب احدى الزميلات وينتهى بمصرع الفتى المتمرد « اجناثيو » على يد غريمه اذ يلقيه من قمة أحد الحواجز الرياضية الى الأرض فى جريمة تصور حفظا لسمعة المركز على أنها قضاء وقدر • الا أن الشرخ الذى أحدثه فى نفوس زملائه لا يمكن أن يلتئم •

ونفس غريمـه الذى صرعه لا يلبث أن يقف فى الشرفة مناجيا النجوم البعيدة مثلما كان يفعل ، ومرددا هتافه المستحيل « أريد أن أرى » ! وبالرغم من أن

المسرحية قد اعتبرت دراسة فنية لحياة المكفوفين واحتفت بها جمعياتهم وناقشت المؤلف فيها ودفعته الى مزيد من التعمق والانتباه للدقائق « السيكولوجية » والمفارقات الاجتماعية فى حياة العميان ، بالرغم من كل ذلك فاننى اعتبرتها فى دراستى المطولة عن المسرح الاسبانى الحديث استعارة كبيرة أو رمزا كليا ــ ان تساهلنا فى استخدام كلمة الرمز ــ يصور المجتمع الاسبانى بعد الحرب الأهلية ورغبته المتحرقة للتكيف مع الواقع والتئام الجراح وممارسة الحياة الطبيعية كأن شيئا لم يكن ولكن المؤلف يصرخ فيهم مثل بطله : هذا خداع للنفس وهروب من الواقع ، ويهتف ــ بالرغم من هزيمته أو عماه ــ أريد أن أرى ! بكل ما فى ذلك من استحالة .

وكان العمل الثانى الذى استخدم فيه « بويرو » العمى كأداة فنية هو « كونشرت سان أو بييدو » الذى يعرض فيه حادثة شبه تاريخية ، عندما قام أحد المتعهدين فى فرنسا قبيل الثورة الفرنسية بتكوين فرقة موسيقية من المكفوفين وأخذ يدور بهم فى الأسواق والمحافل والمهرجانات الشعبية والدينية ، لا لعرض فنهم

ومواهبهم الموسيقيه وانما لاستغلالهم فى التهريج واضحاك الناس من مأساتهم • ويفجر المؤلف فى احدى الشخصيات الحالمة المتمردة « دابيد » كل طاقات سخطه، اذ كان يطمح الى أن يتعلم الموسيقى كغيره من المبصرين وأن يأتى اليوم الذى يستطيع فيه أن يقرأ بأية طريقة « النوتة » الموسيقية ، ولكنه عندما يكتشف أهداف المتعهد المادى الجشع وقبول زملائه لأن يمثل بهم وأن يتخذوا هزأة وسخرية يقرر أن ينتقم لانسانيته • وينفرد فى ظلام الخيمة التى تقدم فيها العروض بالمتعهد ويمتاز عنه بحساسيته فى الظلمة وقدرته على الحركة والمبادرة فيقضى عليه بضربات سديدة عاتية • وتدخل المرأة أيضا طرفا فى هذا الصراع اذ أن خليلة المتعهد كانت تكن ودا خاصا للأعمى المتمرد ، ولكن قسوة خليلها وغلظته حالتا دون نمو هـذه العواطف الرقيقة ، وتتجلى فى المسرحية نزعة أخرى انسانية تعليمية ، اذ نرى فى أحد مشاهدها صوتا يرتفع محتجا على العرض الهمجى المزرى بكرامة هؤلاء العميان ، ويكون نصيبه الطرد من الحفلة، وهو صوت « فالنتين هاوى » الرجل الذى نراه بعد

أحداثها بعدة أعوام فى المشهد الأخير وقد أثارته هذه الحادثة فكرس حياته لدراسة الوسيلة التى يستطيع بها هؤلاء العميان أن يحققوا وجودهم كالآخرين وأن يقرأوا كغيرهم من المبصرين .. وكان له فضل الاسهام فى الجهود التى أدت الى اختراع ما يعرف بطريقة « برايل » فى الكتابة .

● مسرحية وصول الآلهة :

ونأتى الى العمل الأخير الذى استخدم فيه «بويرو» العمى كوسيلة أداء فنية وهو المسرحية التى نقدمها اليوم لقراء العربية « وصول الآلهة » وما الآلهة فيها الا أجيال الشباب الحديثة التى نصبت من نفسها قضاة على الأجيال القديمة ، أجيال الآباء ، وأخذت تعدد عليهم جرائمهم وتسومهم من أجلها العذاب ، ولا يحسن بنا أن نفسد على القراء لذة مطالعتها وتتبعهم لأحداثها بتلخيصها أو عرض الخطوط الرئيسية فيها ، ولكننا نكتفى بأن نشير الى عدة أشياء مع يقيننا بأن القارىء لن يستوعبها تماما الا بعد قراءة النص وتذوقه .

منها أن « العمى » فى هذه المسرحية ليس قدرا

مفروضا على البطل من الخارج ولكنه هو الذى يحكم على نفسه به ، لا بفقأ عينيه مثلما فعل أوديب وانما بفقد البصر « لا اراديا » نتيجة صدمة نفسية عاتية ، ومنها أن المؤلف كما رأينا فى حيله السابقة قد ارتقى بها فى هذا العمل الأخير ، فلم يعد البطل هو الأعمى وحده وانما يصاب المشاهد فى معظم مناظر المسرحية بفقد البصر لتولد له رؤية جديدة للأشياء والأشخاص ، رؤية من الداخل لا لمجرد أشباح وأطياف ، وانما لحقائق تعود الناس على تزويرها واخفائها .

كذلك نلاحظ الدور الرئيسى الذى يلعبه النور والظل فى هذه المسرحية المرهفة الذكية التى تعتبر « وثيقة اجتماعية » تسجل هموم شباب هذا العصر وجرأتهم وادانتهم للأجيال السابقة عليهم ، وتسجل مع ذلك نفاذ بصيرتهم ببعض الرؤى التى توشك أن تكون قبسا من « النبوة » عندما يتغلغلون فى ضمير المستقبل وتنكشف لهم بعض أطيافه من فرط وعيهم بالحاضر وادراكهم لأعماقه ، وهى مسرحية تعد بعد كل ذلك درسا فى الأداء الدرامى بما فيها من مواقف رائعة فى شاعريتها وواقعيتها فى نفس الوقت .

د. صلاح فضل

وصول الآلهة

LLEGADA DE LOS DIOSES

Buero Vallejo

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

شخصيات المسرحية

بيرونكا	**Veronica**
خوليو	**Julio**
أرتيميو	**Artimio**
فيليب	**Filipe**
ماتيلدى	**Matilde**
نوريا	**Nuria**
فابى	**Faby**
اينيس	**Ines**
مارجوت	**Margot**

الرجل (لا يتكلم)

* تقع الأحداث فى جزيرة جميلة بأى بلد كان .
* اليمين واليسار بالنسبة للمشاهد .
* عرضت المسرحية لأول مرة على مسرح «لارا» بمدريد فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٧١ .

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

الفصل الأول

وصول الآلهة

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

(غرفة استقبال حديثة ومريحة فى « فيلا » جميلة ؛ على اليمين حائط زجاجى عريض به باب ينزلق على قضبان حديدية يفضى الى الشرفة والشاطىء القريب • فى المستوى الأول من هذا الجانب دولاب مشروبات مثبت فى الحائط الزجاجى وأمامه منضدة عالية مستديرة قليلا • المدفأة على اليسار وقد صفت فوق افريزها علب الدواء وبعض التحف « البورسلان » تتوجها لوحة كبيرة قد رسمت بالألوان المائية الهادئة تمثل شخصيتين أسطوريتين • على يسار الجدار الخلفى للمسرح فراغ فسيح أسدلت ستارة مزدوجة • وعلى اليمين دولاب كتب منخفض مزين بالصور والتماثيل الخزفية وبعض الكؤوس الفضية • ومن فوق هذا الدولاب يقوم الجدار عاريا لا يغطيه شىء •

فى وسط المسرح وقرب المستوى الأول منضدة زجاجية منخفضة عليها بعض المجلات وأدوات التدخين وكتاب نصف مفتوح وضع بداخله خنجر ذهبى صغير مما يستعمل لفض صفحات الكتب الجديدة ؛ خلف المنضدة أريكة وعلى جانبيها مقعدان مريحان • على جانبى المدفأة مقعد ذو مسند مرتفع وآخر جلدى بدون مساند ، كما وضعت بعض المقاعد الأخرى والمصابيح ذات القوائم فى الأركان المناسبة • تتدلى من السقف على اليسار زينة متحركة على هيئة كوكب ذى حجم معقول وتركيب

هندسى بديع متعدد السطوح به الواح وقضبان معدنية لامعة وقطع من الخزف الملون • تسطع الشمس فى الخارج وهدير الموج الذى لا يهدأ يصل احيانا بوضوح شديد •

عند رفع الستار نرى امراة جميلة فى بداية نضجها تقف بجانب الباب الزجاجى المفتوح وقد انسدل شعرها الطويل الناعم على منكبيها تلبس « بنطالا » و « بلوزة » يناسبان من يمضى فترة راحة وعطلة • تنظر الى الخارج فى صمت لعدة لحظات ثم لا تلبث وهى مستغرقة ان تصفر من حين لآخر كأنها تحذر احدا • ثم تصمت وتترقب • تبدو كأنها تكتم انفاسها حتى لا تصدر عنها اية نأمة • فترة صمت طويلة نسمع على اثرها دقات عصا تقترب من الباب الزجاجى ، ثم تتوقف) •

خوليو : (صوته) هذه الأرض مألوفة لى (ضربات تحسس) أنا أمام المدخل ناحية الشمال قليلا ، هل انحرفت عنه كثيرا فى البداية ؟

بيرونكا : لا •

بيرونكا : غدا سنعيد المحاولة فى صمت •

خوليو : صفرت عدة مرات !

خوليو : انها على الرمال أصعب من الحديقة (صمت) سأدخل •

بيرونكا : ارفع العصا وأعطها لى عندما تدخل ، فأنت تعرف البيت جيدا •

(يسمع صوت خوليو وقد دخل المسرح)

(يتقدم خطوة ويمد يده ، تنطفىء الأنوار بسرعة حتى يلف الظلام المسرح ، ومن خلال الظلام

خوليو : هل كانوا ينظرون الى ؟

بيرونكا : ومازالو يحدقون فى اتجاهنا •

خوليو : فضوليون •

بيرونكا : لعلكم دائبو الشكوى لأننا لا نجلس بجوارهم أبدا على الشاطىء •

خوليو : (ضاحكا) أنت لا تطيقينهم !

بيرونكا : أنا لا أستطيع أن أحتملهم طويلا •

خوليو : ولا أنا •

بيرونكا : هذه التوترات تؤثر على استجمامك •

خوليو : بالعكس (يسمع وهو يتحرك)

بيرونكا : احترسى ، ستصطدم بشىء •

خوليو : لا • أتريدين كأسا ؟

بيرونكا : أتريد أنت ؟

خوليو : أبدا •

بيرونكا : ولا أنا • كم يوما قضيناها هنا حتى الآن ؟

خوليو : ثمانية •

بيرونكا : بدون فائدة •

خوليو : (ساخرا) هكذا يبدو !

بيرونكا : ألا تشعر حتى بالضوء ؟

خوليو : (ضاحكا) أنا فى ظلام حالك مخملى •

بيرونكا : ولا بأى خيال مفاجىء •• حتى لو كان عابرا ؟ (صمت) هه ؟

خوليو : أبدا •

بيرونكا : اذن فلنعد الى باريس •

خوليو : (بصوت ضاحك) لم أسترح بما فيه الكفاية يا بيرونكا •

بيرونكا : لن تستريح هنا •

خوليو : بلى .. أستريح ، حفيف الأمواج يهدئنى ، صوت البحر هو أقدم أغنية للمهد فى العالم
(ينصتان الى هدير الموج) ، أما زالت السماء صافية ؟

بيرونكا : وشديدة الزرقة .

خوليو : زرقة الجزر .. (بسخرية) ولوحات أبى المرسومة بالألوان المائية .
مازالوا تحت المظلة ؟

بيرونكا : بل نهضوا .. قادمين الى هنا .

خوليو : (مستشعرا البرد) سأذهب لأرتدى ملابسى .

بيرونكا : سأصحبك .

خوليو : لست فى حاجة الى ذلك ، انتظرى ان كنت تفضلين البقاء .

بيرونكا : لا أفضل البقاء، انتظر حتى أرفع لك الستارة.

خوليو : شكرا .

(يعود الضوء فى الحال ، نلمح خوليو وهو يخرج ويختفى خلف الستارة ومعه بيرونكا ،

على صوت الأمواج تسمع كلمات ووقع خطوات تقترب) .

أرتيميو : (صوته) متى تفتح المحل فى الجنوب ؟

فيليب : (صوته) هناك صعوبات ، ربما كان ينبغى على أن أذهب شخصيا لأتغلب عليها ، ولا أريد أن أفارق ابنى الآن ، هل تعدين لنا الشراب يا ماتيلدى ؟

ماتيلدى : (صوتها) طيعا .

(تظهر من خلف الباب الزجاجى وتتوقف لحظة لتسمع أرتيميو ، ماتيلدى امرأة مازالت جذابة بالرغم من أنها تخطت الأربعين من عمرها، يشرتها ذابلة قليلا وشعرها مصبوغ بلون فضى، أما وجهها فهو حاد صارم الملامح وان كانت عيناها شديدتى الحيوية تلمعان من خلف نظارة شمسية عسلية اللون على شكل فراشة غريبة. وفوق لباس البحر ذى القطعتين ترتدى بنطالا مزركشا يكشف عن خف ذهبى اللون و«بلوزة» زاهية تتهدل مفتوحة على صدرها ، تعلق على

ذراعها منشفة وفى يدها حقيبة شاطىء وقبعة من القش) .

أرتيميو : (صوته الضاحك) لا تسمح لى بمشاركتك ، يبدو أن التوظيف المالى ناجح !

ماتيلدى : ليست مسألة نقود .

(تضع ما تحمله على مقعد وتبدأ خلف منضدة « البار » فى اعداد الشراب) .

فيليب : (صوته) تاجر التحف الأثرية يريد التفاوض معى ، يزعم الآن أن تكلفة النقل يسيرة .

أرتيميو : (صوته) هذا يمكن الاتفاق عليه تليفونيا .

فيليب : (صوته) لكنه يصر على أن أذهب اليه .

أرتيميو : (صوته) ألم يكن ابنك الأكبر هو الذى يتولى العملية كلها ؟

فيليب : (صوته) هو الذى يتولاها بالفعل ، ولكنه لم يستطع اقناعه .

أرتيميو : (صوته) ربما يكون قد شم رائحة منظمتنا السكنية ويريد أن يوظف أمواله باستثمارها فى هذه المنطقة .

فيليب : (صوته ضاحكا) أنت لا يفوتك شيء !

(يظهر فيليب على الباب وهو رجل رشيق أنيق، ذو شعر رمادى لا يكاد يظهر عليه أثر أعوامه الستين لنشاطه وحيويته ، يرتدى فوق لباس البحر قميصا ملونا ويتأبط تحت ذراعيه صحيفة مطوية • يميل على حافة الباب ويبتسم برقة لماتيلدى فترسم بحركة من شفتيها وهى على « البار » قبلة له) •

أرتيميو : (صوته) ربما كنت غبيا فى أشياء كثيرة ••

فيليب : من قال ذلك ؟

(يضحك بهدوء ، تشير ماتيلدى الى نفسها) •

أرتيميو : (صوته فى نفس الوقت) امرأتى ، لكنى فى الأعمال التجارية صقر • وهى أيضا تعترف بذلك •

(يظهر أرتيميو ، يعبر أمام فيليب ويدخل) •

ان كنت تريد العدول عن افتتاح محل الأثريات اللامع هذا فأنا معك ، لديك رأسمال طيب ويمكنك أن تستثمره عندنا •

(يجلس على الأريكة ويتصفح احدى المجلات، يبلغ من العمر حوالى خمسين عاما ولكنه ذو مظهر سوقى ، فملامحه ساذجة ونظراته بلهاء وبطنه قد برزت الى الأمام ، وعندما يكشف رأسه يبدو شعره الكستنائى المعدنى مثيرا للشبهة ، لكنه فى هذه اللحظة يرتدى قبعة من القش ومن فوق لباس البحر قميصا مشجرا • وفى معصمه ساعة ذات سوار ذهبى سميك) • عندما تريد تتكلم فى الموضوع •

فيليب : لا بد أن يكون هذا بسرعة •

أرتيميو : كما تحب •

ماتيلدى : الآلهة تبخرت •

أرتيميو : لا تقولى هذه الحماقات •

ماتيلدى : (مشيرة الى فيليب) هكذا يسميهم فيليب •

أرتيميو : أعرف هذا ، مينيرفا وبان ، حماقات !

فيليب : (ضاحكا) لابد أن تعترف أن مظهرهما الهى الى حد كبير •

أرتيميو : مظهر نموذجين بشريين طيبين لا أكثر ، لكنك مشغول دائما بلوحاتك المائية وما فيها من آلهة اغريقية أو رومانية ..

(يترك المجلة ويتناول الكتاب الموضوع على المنضدة ويضع الخنجر الفاتح على زجاج المنضدة ثم يتصفح بضع صفحات) .

فيليب : (مشيرا الى اللوحة المعلقة على المدفأة) منذ بدأت الرسم ، ها هما مينيرفا وبان .

(تناوله ماتيلدى قدح الشراب فيعب منه جرعة)

أرتيميو : وفى معرضك ، آلهة فى كل جانب ، هذه هى لوثتك ، على أنه ليس محض جنون فما أحسن ما تبيعها (يتناول قدحه من يد ماتيلدى) .

فيليب : لا بأس بهذا على رسام موسمى مثلى .

ماتيلدى : أنت نفسك لا تؤمن بذلك ، فأنت رسام هذه الجزر بلا منازع يارجل ، لا أقل من ذلك ، هكذا قالت عنك « مارجوت » ، ومع كثرة السياح سينتشر هذا حتى فى نيويورك .

فيليب : (وهو يضع الصحيفة ويعبر المكان) وهى تكرر هذا فى مقالها اليوم .. هيه .. لوحات متأنقة تعجب المصطافين لا أكثر .

(يصل الى المدفأة) .

ماتيلدى : انها تفتننى !

فيليب : (ناظرا الى اللوحة) ألا يشبهانهما قليلا ؟

أرتيميو : خوليو وبيرونكا .

(يتناول قرصا من احدى علب الدواء ويأخذه راشفا ما تبقى فى كأسه) هذه اللوحة كانت تنتظرهما ، تدعوهما (ضاحكا) وقد جاءوا فى نهاية الأمر ، السلالة تتحسن ، وتعود الآلهة لتسير ذات يوم على الأرض .

ماتيلدى : (بقلق طفيف) هل تأخذ الأقراص مرة أخرى؟

فيليب : لا أهمية لهذا ، فدورتى الدموية تنتظم بفضلها .

أرتيميو : لو كان هناك أحد يستحق أن يسمى آلها .. أتعرف من ؟ . ابنك الكبير هو الذى يستحق ، شاب رائع وفق فى زيجة عظيمة النفع واستطاع

أن يربح الآلاف ، لو أسندت اليه ادارة محل التحف الأثرية لرأيت كيف يجعله عظيم الربح .

فيليب : لقد باع لى لوحة قوطية بثلاثة أضعاف ثمنها .. حتى قبل أن تصبح ملكنا .

أرتيميو : (يكشف رأسه) أجل .. هذا اله .

ماتيلدى : (تجلس ضاحكة) عطارد اله التجارة .

فيليب : (وهو يزرع الغرفة) اننى سعيد جدا به، تصور . خوليو أكثر غرابة وصعوبة ، لكن فيه شيئا راسخا .. لامعا ، وعندما يمارس الرسم يأخذه مأخذ الجد .

أرتيميو : عواطف الأب (يشير اليه باصبعه) المترمل.

ماتيلدى : (تؤنبه) يارجل ! ..

أرتيميو : لم أقل ان خوليو يستهان به يا امرأة .. على العكس من ذلك ، عندى له بعض المشروعات . (يترك الكتاب على المنضدة) .

ماتيلدى : مشروعات ؟

أرتيميو : ألم تفكروا أنتم فى هذا ؟

فيليب : عم تتكلم ؟

أرتيميو : عندما تصبح نوريا بنتنا فتاة كبيرة ..

(فيليب وماتيلدى يتبادلان النظرات ، تنهض وتذهب الى البار وفى يدها كأسها يضحك أرتيميو) .

لا تزعما أن الفكرة تدهشكما .

ماتيلدى : أتريد كأسا أخرى ؟

فيليب : (وهو يجلس) لا . شكرا .

ماتيلدى : (وهى تصب لنفسها) هل هذه لعبة مالية أخرى من ألعابك ؟

أرتيميو : من ذا يتحدث عن أعمال مالية ، ان فيليب هو أعز أصدقائنا . لكن مادمت تتكلمين عن المسائل المالية فان أحدا منا لا يتصور أن ما يئول يوما الى خوليو سوف تذهب به هذه .. الآنسة ..

ماتيلدى : لم لا ؟

أرتيميو : ماتيلدى .. هذه الفتاة جاءت مع خوليو لهدف

خاص ، وكلما اختفت من حياته فى أسرع وقت كان أفضل .. أما نوريا .

ماتيلدى : دعها وشأنها ، (تشرب) أشعل لى سيجارة ، أسرع .

أرتيميو : سأتركها وشأنها . (يتناول سيجارة من العلبة الموضوعة على المائدة ويشعلها) لكن .. ماذا يمنع من أن نجعل أحدهما يميل الى الآخر ؟ (ينهض ويعطى السيجارة لزوجته) .

ماتيلدى : أرجوك أن تسدى لنا معروفا وتحترم حريتها (تدخن) .

أرتيميو : (يعود للجلوس) لو كانت الفكرة تضايقك لأنه أصيب بالعمى ..

ماتيلدى : (وهى تشير الى فيليب) يارجل !

أرتيميو : (يشعل سيجارة) ليس شيئا عضويا على أية حال ، لقد أكد الأطباء ذلك (ينظر الى فيليب) .

ماتيلدى : (بجفاف) كلنا نعرف أنه سيشفى (صمت ، يفتح أرتيميو علبة السجائر) .

أرتيميو : (الى فيليب) ألاتدخن ؟

فيليب : شكرا ، لقد استنفدت حصتى الصباحية • (صمت) •

أرتيميو : هل أسفت فى حديثى يا فيليب ؟

فيليب : (يتناول الصحيفة ويفتحها) أبدا •• لكنى أتفق مع زوجتك •• اترك الاثنين على حريتهما •• على أننا لا نعرف متى سيشفى •

أرتيميو : (يربت على ظهره مبتسما) عندما يستريح بضعة أيام أخرى • يارجل هذا الجو يفعل العجائب •

فيليب : لهذا أحضرته هنا •

ماتيلدى : اسمع يا فيليب ، فى باريس ، ألم تشك فى شىء يمكن أن يكون السبب فى حالته ؟

فيليب : كان مكتئبا لأن معرضه لم يلق الصدى المنشود، لكن هذا لا يبدو لى سببا كافيا ••

أرتيميو : ألم يتناول مخدرات ؟ (يظهر الاستياء على ملامح ماتيلدى) •

انه سؤال لا أكثر .. يا امرأة !

فيليب : لا أعرف ، لكننى قلت لكم ان عمـاه ليس عضويا .

أرتيميو : اذن .. هو عقلى ؟

فيليب : (موافقا) العين ترى .. لكن المخ يرفض تسجيل الرؤية .

أرتيميو : ما أغرب هذه الأمراض !

فيليب : يبدو أنها معروفة جدا .

ماتيلدى : ربما .. للأطباء . (تجلس معهما) .

أرتيميو : الظاهر أنه يجب أن يذهب الانسان الى باريس حتى يصاب بها ..

ماتيلدى : لكن .. لا تشغل نفسك ، سوف يشفى هنا .

أرتيميو : بالتأكيد ، أليس من المناسب له فى هـذه الأثناء أن يتعلم شيئا نافعا مثل طريقة «برايل»

ماتيلدى : هذا سابق لأوانه ، لكن ربما كان يناسـبه شىء آخـر ..

فيليب : ما هو ؟

ماتيلدى : أنت تعرف أن طبيبا نفسيا ممتازا قد فتح عيادة له فى الجزيرة ..

فيليب : اقترحت هذا على خوليو .. لكنه لا يريد

ماتيلدى : (تتنهد) فلننتظر اذن .

فيليب : هذا ما أفعله ، بينما أهيىء له كل أسباب الرضا المكنة

أرتيميو : حتى انك أحضرت صديقته معه ..

فيليب : (منكسا رأسه) لم أرد أن أنكر هذا عليه ، يبدو أنهما كانا متلازمين .

(ينهض) أتريد كأسا أخرى ؟

أرتيميو : فكرة طيبة

(يذهب فيليب الى البار ويعد الشراب)

ماتيلدى : (وهى تشعل سيجارة أخرى) أنا أعتقد أن الآلهة تتعاطى المخدرات ، ألاحظ فى وجهها شيئا غريبا

أرتيميو : (يتصفح الصحيفة) لو كانت تتناول المخدرات

فهـو أيضا يتناولها ، راقبها يا فيليب ، فهى فتاة كبيرة وتعرف كل شيء .

ماتيلدى : هؤلاء الفتيات اللاهيات ينبغى الحذر منهن، ملهمات الشـاطىء الأيسر يبحثن عن أحاسيس جديدة ونقود وفيرة

فيليب : أنت تظلمين الآلهـة ، فهى حاصـلة على بعض الشهادات وكانت مدرسة للأدب فى احـدى المدارس

ماتيلدى : آه .. أهناك فى الخارج عندهن شهادات ؟

أرتيميو : يا امرأة ..

(يضحكون جميعا ، يدخل من خلفية المسرح بضجة شـديدة كل من نوريا واينيس وفابى يرتدين لباس البحر ويحملن مناشف الشاطىء الكبيرة ويبدين ـ بطريقة طبيعية ـ أجسامهن الجميلة المراهقة . نوريا أصغرهن ، وهى صبية ما زالت فى ربيعها الخامس عشر ، أما الفتاتان الأخريان فقد أوشـكتا على بلوغ العشرين ،

وهن صديقاتها اللائى يشعرن ازاءها بشىء من الأمومة)

البنات الثلاث : صباح الخـير

أرتيميو : ألم تأخذن حمامكن حتى الآن ؟

نوريا : لا • هل نمر من هنا الى الشاطىء يا عم ؟

فيليب : طبعا ، ألا تردن بعض المرطبات ؟

فابى : فيمـا بعد

نوريا : أنا أريد (يقدم لها فيليب بعض المرطبات)

اينيس : أسرعى يا نوريا فهم ينتظروننا

ماتيلدى : أصبحت لكن صداقات ؟

فابى : بالطبع (يتضاحكن)

ماتيلدى : من أين تجئن ؟

نوريا : من المنتزه (تتناول مشروبها وترشف منه)

اينيس : أمضينا الصباح ونحن نقفز من على جهاز القفز الذى أهدى الى فابى

أرتيميو : جهاز قفز ؟

نوريا : (وهى تتجول فى الغرفة بسعادة) انه جهاز رائع يا أبى به لولب من أسفل ، وعلى سطحه تأخذ دفعة وتركب فتندفع من فوقه قفزا • أنا لا أقع منه الآن • فهو سهل لكن فابى أنانية ولا تريد تركه لنا •

فابى : أرأيتم هذه ، انه جهـــازى وأنا أيضا أريد أن أركبه

نوريا : هــو من •• أروع ما يمكن

فيليب : أكثر من « التينيس » ؟

نوريا : أكثر •• (تشرب) اسمع يا عمى •• هــذه الزينة المتحركة تفتننى جدا (تهزها) لاحظوا يا بنات •• انها تتغير كثيرا

فيليب : اذن •• لابد من اهدائك واحدا مثله

نوريا : زينة أخرى متحركة ؟

فيليب : جهاز آخر للقفز •

نوريا : (وقد طار صوابها من الفرح) عمى •• (تهرع لعناقه)

أرتيميو : أنت تفرط فى تدليلها

نوريا : اننى بنته فى العماد

فيليب : بالاضافة الى أنك نموذج الرسم المفضل عندى على لك نسبة فى أرباحى من كل اللوحات التى بعتها (يذهب نحو المنضدة ويضع الشراب للزوجين)

اينيس : أبى يريد شراء لوحة عروس البحر يا سيد فيليب

فيليب : أترين .. (الى نوريا) أصبح من حقك جهاز القفز

نوريا : متى ؟

ماتيلدى : عندما يريد .. لا ترهقيه يا بنية !

فابى : حسنا ، لنذهب الى الشاطىء .

اينيس : هيا بنا يا نوريا

نوريا : سأفرغ من شرابى وألحق بكم

فابى : اذن الى اللقاء (تضحك) انظرى يا اينيس من هناك .. الولد الأشقر

اينيس : وكل المجموعة •

فابى : قد رأونا •• لنذهب وعلينا أمارات الجد ، هه ؟

اينيس : فى منتهى الجد • (يخرجن من الباب الزجاجى وهن يكتمن الضحكات) لا تضحكى ••

فابى : (صوتها) أنا لا أضحك ! يتلاشى لغط حديثهن)

أرتيميو : هؤلاء نعم •• آلهات (يضحك الجميع)

ماتيلدى : نوريا ما زالت طفلة ، ومن المناسب أن يكون لها صديقات أصغر

نوريا : هن من عمرى

ماتيلدى : لا يمكن

نوريا : (تهز الكوكب المعلق) وهل تظنين أنه فى سنى لا أخرج مع شبان ؟

أرتيميو : (لزوجته ضاحكا) اجابة حكيمة •

فيليب : طبعا يا ماتيلدى ، حتى انه من الأفضل أن تكون صديقاتها أكبر منها قليلا ، حتى يرعينها ••

نوريا : (بشقاوة أطفال) هذا ما أظنه

(يضحك الجميع وقد كسبتهم لصالحها بخفة روحها ، تدخل مارجوت من خلفية المسرح وهى سيدة فى الخمسين من عمرها ، بارزة العظام وان كانت ليست قبيحة الشكل ، من الواضح أنها تصبغ شعرها وتحافظ على مظاهر الشباب بتصاب ، تتأبط صحيفة تحت ذراعها)

مارجوت : شراب وضحك ، الحياة جميلة !

فيليب : مارجوت !

أرتيميو : أهلا مارجوت

مارجوت : هلا تركتم لى بعض الشراب !

فيليب : (يقدم لها كأسه) تفضـــــلى ، لم أذقها حتى الآن

مارجوت : شكرا • (تأخذها وترشف جرعة) ما ألذه (تذهب لتقبل ماتيلدى) أنت تخطفين الأبصار يا ماتيلدى

ماتيلدى : أما أنت فقد أصبحت مثل القمر

مارجوت (ضاحكة) مثل قمر غـارب ، رأيت الصبية « تتكنغر » بجهاز القفز فى المنتزه

فيليب : تتكنغر ؟

مارجوت : تقفز مثل طائر الكنغر ، كلمة جديدة ، هذه مهنتى

نوريا : جديدة ورائعة (ترشف ما تبقى من شرابها وتترك الكوب على المنضدة)

سأذهب الى الشاطىء ، (تتجـه الى الباب الزجاجى) لا تنس وعـدك يا عمى !

فيليب : ستتكنغرين • (ضحكات)

نوريا : (وهى تنظر الى الخارج باهتمـام) أنت ملاك (تلتفت) وأين خوليو ؟

لا أراه على الشـاطىء •

ماتيلدى : (بعد هينهة) صعد الى غرفته

نوريا : ياللأسف ، وعدنى أن يحكى لى أشياء عن الحى اللاتينى •• الى اللقاء •

(تخرج بسرعة ، أرتيميو يكتم ضحكة وهو يشير اليها ، تنظر اليه ماتيدى ببرود)

مارجوت : ماهى النكتة ؟

ماتيلدى : لا تكترثى له •• تفاهات •

فيليب : ألف شكر على مقالك القيم يا مارجوت

مارجوت : هل قرأته •• لقد أحضرته لك معى (تشير الى الصحيفة وتتركها على المنضدة)

أرتيميو : ونحن على الشاطىء ، كان حديثا كله امتداحا لك

مارجوت : (بسعادة) أنتم تقسون على •• (تتكىء على ذراع مقعد)

ماتيلدى : هناك فقرة هى التى تسلب عقلى •• (تبحث فى الصحيفة)

أرتيميو : فقرة واحدة ؟

ماتيلدى : كل المقال •• لكن فقرة منه •• ها هى (تقرأ) رسوم لطيفة لكنها خالدة ، أو هى لطيفة لأنها خالدة ، أو ربما كانت خالدة لما فيها من

لطافة (أرتيميو يوافق بحماس) فبعد كل هذا القبح المتعبقر جاء الأوان الذى نحيى فيه بذور الجمال التى زرعها الاغريق فى جزيرتنا، وأزهرت اليوم فى هذه اللوحات المائية الرائعة التى تتغنى بالنعمة الالهية على الأجسام البشرية وبفرحة الرخاء عندنا وبزرقة السلام الوديعة التى نحظى برغد العيش فيها ، فمن ملامح هذه الآلهة الباسمة هل يكون الله هو الذى يبتسم لنا ؟ • ألا ترى أنها فقرة رائعة يا فيليب ؟

فيليب : (بتردد) كل المقال يعجبنى

مارجوت : اذن فسيكون هناك مقال آخر

فيليب : ما أعظم حبك

مارجوت : أنت تستحق أكثر من ذلك ، لكنى أود أن توضح لى جزئية صغيرة ، هناك شىء من ملامح وسط أوربا فى أسلوبك ولم أجرؤ على أن أحدد ما هو فأنا لا أعرف وطنك بالضبط ، وان كان هذا يبدو غير معقول •

فيليب : (باسما) سألتنى عن ذلك منذ سنوات .

مارجوت : فضول نسائى لم ترد أن تشبعه ، لكنى أريد أن أعرف لأكتب مقالى الثانى فأنا أريد أن أوليه عناية بالغة لكى تكون مغتبطا جـــدا .. كلنا يعرف أنك لم تولد هنا بالرغم من أنك قـــد أخذت الجنسية وتتحدث بدون أية لكنة أجنبية من أين أنت بالضبط ؟

فيليب : (برقة) هذا هو وطنى يا مارجوت ، وسأكـون أشد اغتباطا لو لم تشـــيرى فى رسومى الى تأثيرات أجنبية ، فقد جئت الى هذه الجـزر منذ سنوات بعيـدة وهنا تزوجت وترملت ، وهنـــا ولـــد أطفـــالى وجمعت ثـروتى المتواضعة .. تذكر الســنين الماضية شىء لا يستحق العناء ، مقالاتك عظيمة بدون هـــذه التفصيلات ، صدقينى ، ولا تظنى أن الفقرة لم تعجبنى ، كل ما حدث ببساطة هو أننى شردت قليـــلا .

مارجوت : لماذا ؟

فيليب : أريد أن أرجوك شيئا .. من أجل خوليو

مارجوت : بكل سرور .

فيليب : شيء ربما ساعده ، ولكن بعد هذه الفقرة ، لا أدرى ان كان طلبى ..

مارجوت : أنت تسيء الى بهذا التردد يا فيليب فأنا أعز صديقاتك ..

(ماتيلدى توارى ابتسامة ما)

فيليب : اسمعى ، هذا المقال الآخر الذى تعدينني به بمنتهى اللطف ، ألا يمكنك أن تخصصيه .. بعطف .. لابنى ؟ أنا أدرك تماما أنه لا ينبغى أن أطلب منك هذا .. عندما رأيت الصور الملونة للوحاته التى أحضرها معه فهمت أن رسمه لا يعجبك . (الى ماتيلدى وأرتيميو) ولا يعجبكم .. بالرغم من كلمات المجاملة التى قالها كل منكم ، لكن ، فى باريس أنتم تعرفون أنه لم يلق النجاح الكافى ، ولكى نعرضه بقدر الامكان .. حسنا .. عضوا .. اعتبروا كلامى كأن لم يكن !

مارجوت : (بعد هنيهة) ناد عليه

أرتيميو : مرحى بأفكارك يا مارجوت

فيليب : (يتناول وجهها بيديه ويقبلها) انك الطيبة مجسمة ، كما لو كانت فكرتك ، هه ؟

مارجوت : اطمئن (تداعب ذقنه بتودد ربما يكون مفرطا)

فيليب : سأذهب لأناديه (تستوقفه)

مارجوت : يكفى أنك تريد هذا وأنه قد يساعده ، على أن معاييرى واسعة ، ففى هذه الفقرة كنت أنقد النزعة التقييحية تسهيلا للأمر ، لكن عندما تكون هناك موهبة فلابد وأن تحظى بالاعجاب اللازم ، ها هو جويا وبيكاسو ! (يوافق فيليب على كلامها ويتقدم خطوة لكنها تمسك به) ولن أعفيك لذلك من مقالى الجديد .

فيليب : أنت ساحرة !

(يذهب نحو خلفية المسرح ، تظهر بيرونكا من

وراء الستارة وبيدها عصا خوليو ثم تتوقف فجأة)

بيرونكا : آسفة .. لم نكن نريد أن نزعجكم . (تهم بالخروج)

فيليب : على العكس يا بيرونكا .. فمارجوت تريد أن تتحدث مع خوليو ، هل نزل معك ؟

بيرونكا : أجل ، لكن ..

فيليب : (وهو يزيح الستارة) لماذا لا تدخل يا خوليو، مارجوت تريد أن تسدى لها يدا . (يزيح الستار أكثر كى يسمح لابنه بالمرور فى نفس الوقت الذى تخفت فيه الأضواء تدريجيا حتى تصل الى الظلمة التامة ، وخلال بعض اللحظات تصل الينا الأصوات عبر ظلام دامس)

مارجوت : كم تحسنت صحتك ياخوليو ، يبدو أن جو الجزيرة يناسبك

خوليو : (بنبرة ساخرة لا يخلو منها صوته فى معظم

الأحيان) هل كان من المفروض أن تسوء صحتى ؟

مارجوت : بالطبع لا ، ولكنى أقصد ..

خوليو : (مقاطعا) شكرا يامارجوت ، لاتقدنى يا أبى، هل هذا المقعد خال ؟

ماتيلدى : نعم

خوليو : أنا مرتاح هنا (صمت قصير) ما أجمل هذا الصباح ! هه ؟ يا لها من شمس !

أرتيميو : يا رجل ، أتحس بها ؟

خوليو : طبعا ، ليس بالعينين .. فأمام ناظرى هذا صباح رائع فى .. ظلمته (صمت)

ماتيلدى : أتريد شيئا من الشراب يا خوليو ؟

خوليو : لا وشكرا!

ماتيلدى : وأنت يابيرونكا ..

بيرونكا : الآن لا .. شكرا . (صمت)

خوليو : (بهدوء) لا تنظروا الى بشفقة .. من فضلكم

أرتيميو : يا رجل . . نحن لا ..

خوليو : أنتم تفعلون ذلك وليس هناك داع ، لقد كنت رساما

مارجوت : وما زلت

خوليو : ربما ، لأننى مازلت أرسم ، وهذه نعمة (صمت قصير ، يضحك) أنتم لا تفهمون شيئا من هذا ، قد يكون متناقضا ، لكنه صحيح ، المسألة أن لدى خيالا نشيطا جدا ، يتصور رسوما متحركة ، أتفهمون ؟ حسنا .. لا يهم!

فيليب : أنا أفهمك يابنى .

خوليو : خاصة عندما أرى نفسى

أرتيميو : ترى نفسك ؟

خوليو : نعم ، فأنا فى الظلمة دائما واع بصورتى الخاصة .

(خلال هذه الكلمات تتسلط بؤرة الضوء الأزرق الداكن على رأسه ثم تقوى بسرعة ، وهو شاب باسم فى الخامسة والعشرين من

عمره قد أطلق لحيته وشعره الأسود ، وعلى ملامحه العادية تقوم نظارة سوداء لامعة مثل المرآة باحداث انطباع مقلق ، وعندما نراه نتبين أنه قد جلس على المقعد الأيمن)

مارجوت : وصورتنا ؟

خوليو : أيضا •

(يتسلط كشاف ضوء آخر على رأس مارجوت لينقذها من الظلام ، ويبدو وجهها الآن كأنه رسم « كاريكاتورى » لها • فأنفها أشد نتوءا وبروزا مما كان ، وعيناها صغيرتان وأهدابها طويلة مرسومة ، مزركشة كأنها دمية مخضبة بالدم علتها التجاعيد ، يضحك خوليو) •

خاصة عندما تتحدثون معى

ماتيلدى : هل تتصورنى الآن ؟

(تنبت رأسها من الظلمة فتبدو وكأنها ثعلبة، عيون مشقوقة وشريرة وفم حاد لامع •• تختفى النظارة ، ومن بين خصلات شعرها المفضضة تطل أذنها المحددة اللامعة)

خوليو : (ضاحكا) ووجوه الجميع • والمنزل (يبسط يده) هاهنا كانت الزينة المتحركة الملونة •

فيليب : وما زالت قائمة •

(يقع الضوء على رأسه ، وهو الآن يضع نظارة كبيرة سوداء ذات أذرع جانبية عريضة ، وتبدو بشرته شاحبة بنفسجية كأنه ميت)

خوليو : (ينزع نظارته بهدوء ويحتفظ بها) كانت جميلة جدا عندما تدور

(تبدأ الزينة فى الدوران وقد سلط عليها الضوء بدورها وتنثر فى المكان شرارات التماعها)ومن فوق المدفأة لوحة الآلهة ، كانت تعجبنى فى صبـاى •

فيليب : ألم تعد تعجبك الآن ؟

خوليو : من لى بمعرفة هذا الآن ؟

(نتيجة لكشافات النور السابقة يظلل المسرح كله ضوء خافت لكنه واضح نرى من خلاله كل شىء وان لم يقع الضوء عليه مباشرة ، بوسعنا أن نرى الآن أرتيميو وبيرونكا ، أما هو فقد

نبتا له قرنا خروف غليظان وهى منتصبة عند خلفية المسرح ـ الوحيدة التى تحتفظ بشكلها الطبيعى ، لكن عينيها المفتوحتين بافراط تحدقان فى الفراغ ، ثم تنبعث من جدران المسرح أنوار تبرز بها شبكة معقودة لم تكن مرئية من قبل، بها تشققات سوداء • تلمع بعض قطع الأثاث بطريقة غريبة ، ومن خلف الحائط الزجاجى تتكاثف سحب قريبة داكنة تتخللها ومضات زرقاء وبنفسجية ثابتة ودائرية كأنها أقمار شاحبة هدير الموج يغمر المسرح برفق) •

ألا يتكلم أحد ، عدتم الى الرثاء لى ؟

ماتيلدى : (تهز رأسها بالايجاب) لا • لا •

أرتيميو : (موافقا) مطلقا (مارجوت توافق فى صمت)

خوليو : (بابتسامة ساخرة) ماذا كنت تريدين منى يا مارجوت ؟

مارجوت : (وهى ترمق فيليب وتدنو منه) يسرنى أن

أجرى معك حديثا لأنشره فى صحيفتى

خوليو : هل صرت خبرا صحفيا الآن ؟

مارجوت : ولم لا ؟ رسام أقام أخيرا معرضا فى باريس

خوليو : وأصيب بالعمى .. (يشتد الضوء الغـــريب العـــام)

مارجوت : (وهى تمسك بيد فيليب) مرض عابر .. لم أفكر فى الاشارة اليه (تضع بوجد يد فيليب على مكان قلبها ، ينهض أرتيميـــو ويدنو من فيليب)

خوليو : أهكذا قالت عنه صحيفتك عندما وصلت ..

مارجوت : أشارت لضرورات المهنة ، أما أنا فسأكتب بلباقة أكثر .. (يداعب فيليب ذقنها بعطف لكن أرتيميو يبعده عنها ويجذبه نحو ماتيلدى التى تنهض من مقعدها)

خوليو : ألا يصبح هذا خـــداعا للقارىء ؟ .. تعطينه انطباعا وأنت تتحدثين عن رسومى بأن شيئا لم يحدث لى ..

مارجوت : (موافقة) أبدا .

فيليب : لا ياخوليو (يحتضن ماتيلدى التى تأكله بعينيها بشراهة ويغطى وجهها بقبلات حارة ومداعبات حانية)

انها مسألة لباقة ! (يوقع ماتيلدى على الأريكة ويستمر فى تقبيلها)

أرتيميو : طبعا مسألة لباقة (يبعد مارجوت ويغطى لهـا عينيها)

مارجوت : ان القارىء يدرك هذا ، يفهمه بفطنته من بين السـطور

خوليو : (ضاحكا) وأنا أيضا أفهم من بين السطور ، فأنتم تكذبون على القارىء ولا تخدعونه ، لأنه يدرك الأشياء ، فعندما يقال « عيون الرسـام الشاب تلمع بالثقة » يفهم القارىء أن نظاراته السوداء هى التى تلمع .. وعندما تشيرين ـ بلباقة هائلة ـ الى مرضى العابر فسيفهم القارىء أننى أشد عمى من الوطواط بالرغم من أنه لو

تحدث عن ذلك مع أصدقائه فى النادى فلن يتكلم عن وطاويط وانما عن أمراض عابرة ، حتى ان بعضهم لغبائه ربما يظن أننى أعانى من التهاب فى الأمعاء ، ولو قلت ان معرضى فى باريس لم يلق الصدى المنشود فان الأذكياء سيدركون أنه كان فشلا مريعا .

(ماتيلدى وفيليب يوافقان بحماس)

مارجوت : (تهز رأسها بالايجاب) لكنه لم يكن فشلا مريعا

فيليب : (موافقا) ليس هناك فشل مطلق يا بنى

خوليو : كان ينبغى أن أقول انه مرض آخر عابر ، أعرف أن لغتى ليست لبقة .

مارجوت : (مستنكرة باشارة من يدها دالة على الاحتقار) ان كنت تفضل أن أتحدث عن عماك فسأفعل ذلك

خوليو : بقلمك الملهم ، ربما أصبح عمى شديد العذوبة

فيليب : (محدقا فى عينى ماتيلدى وفمه قاب قوسين

منتديات مكتبة العرب

www.libraray4arab.com/vb

من فمها) لا ينبغى أن تكلم مارجوت بهـذه اللهجة ، فهى صديقتنا ولا تريد الا مصلحتك.

خوليو : أشكرها ، ولكنى لا أريد أن أضعها فى مـأزق لتمتدح رسوما لم تكن تروقها حتى اليوم

مارجوت : (بينما لا يزال أرتيميو يغطى وجهها) رسومك رائعـة

(تتخلص من أرتيميو وتذهب لتتأمل بهيام لوحة الآلهة ، يغطى أرتيميو الآن عينيه)

فيليب : (فى هذه الأثناء) لقد تحمست مارجوت للوحاتك منذ رأت صورها يا خوليو

خوليو : غريبة ، لوحاتى ليس فيها آلهة اغريقية ، لكن ديدان ، ليست لطيفة ولا خالدة .. لأنها لطيفة .. ليست .. استكانة ، ماذا كانت تقـول يا بيرونيكا ؟

بيرونكا : (بلا حراك) وديان سلام وديعة

(تشتد الأضواء مشبعة بألوان غريبة)

خوليو : قرأت بيرونكا لى مقالك .

مارجوت : (بضيق) يؤسفنى أنك لم ترض عنه .

خوليو : (بحزم) أنا مصمم على أننى لست خبرا صحفيا معذرة يا مارجوت ، وشكرا جزيلا .

(صمت متوتر)

ماتيلدى : (وهى تداعب صدر فيليب) شىء مؤسف (يكتم خوليو ضحكة أوشكت أن تفلت منه منذ برهة وينهض ، ولا يكاد يفعل ذلك حتى يقع الجميع بمذلة راكعين أمامه ما عدا بيرونكا)

خوليو : كنتم عظيمى السرور فى وديان سلامكم ، ولكنى جئت لأعكر عليكم ، هيا بنا الى الشاطىء يابيرونكا .

ماتيلدى : (وهى تمشى على أربع وفيليب يتبعها كذلك) لا تتحرك ، نحن سنذهب

فيليب : ألا تريدون كأسا أخرى ؟ (وهو يحك رأسه فى عجز ماتيلدى)

مارجوت : شكرا ، على أن أعود الى التحرير (وهى تمشى على أربع تحاول تقبيل فيليب مرات

متعددة ، تهـددها ماتيلدى مكشرة عن أنيابها فتخرج مارجوت لها لسانها)

أرتيميو : ونحن سنذهب لنغير ملابسنا ونتغـذى فى النادى • (يشرع فى النهوض ماتيلدى وفيليب يقومان فى الحال ويمسكانه كل واحد من قرن ثم يجبرانه على الركوع من جـديد ، يضحك خوليو ، يبدو الصالون كأنه قطعة من المـاس للأضواء الملونة التى تغمره وبقع الضوء التى تملؤه)

فيليب : (فى هـذه الأثناء) سـأصحبكم الى الدور العـلوى

مارجوت : (وهى تمشى على أربع الى خلفية المسرح) الى اللقاء يا خوليو ، وفكر فيما قلت لك ، فأنا عند عرضى •• من القلب

جوليـو : (متلذذا باللعبة) شكرا •

أرتيميو : (وهو يمشى على أربع ، يقـوده الاثنان من قرنيه) طبعا يا خوليو •• مقال من مارجـوت

شيء لا يستهان به .. سترى خلال أيام كيف تنزاح عنك هـــذه الكآبة وتشرع فى الرسم وتكتب عنك مارجوت .

ماتيلدى : وداعا يا آنسة

بيرونكا : طاب صباحكم

(يخرج كل من فيليب ومارجوت والزوجان ، الكوكب المزين ما زال يدور يقترب جوليو منه بعد مهرجان الأضواء تعود الظلال من جديد فلا يبقى الا كشاف يسلط بؤرة ضوء على ملامـــح بيرونكا المتصلبة ، يتزايد هدير موج البحر)

خوليـــو : هل يدور كوكب الزينة ؟

بيرونكا : لا .

(يتلاشى النور ، ظلمة دامسة)

خوليو (يرسل بعض الزفرات) أحب هذا الهدير .. انه هدير طفولتى !

(يشرق النهار فجأة ويعم الضوء الذى ينهمر من الحائط الزجاجى كل المكان . بيرونكا تجلس

الآن على حافة الأريكة الخلفية وترقب خوليو الذى ينظر ــ دون أن يرى ــ الى كوكب الزينة الثابت ، يبدو خوليو بعد لحظة وقــد انتابته رجفة خفيفة كأنه استعاد بصره لبرهة ينظر هنا وهناك ويلتفت الى بيرونكا فتتلاقى نظراتهما)

بيرونكا : هل حدث لك شيء ؟

خوليو : (يغض بصره) أبدا .

(يرتجف الضوء ويتلاشى بينما ينظــر خوليو حواليه ويرمش بجفونه تساعده فى ذلك غمزات الضوء ، وتظل عيونه محملقة حتى يبدو وكأن تلاشى الضوء التدريجى قد توقف لبرهة ، وفجأة تعود الظلمة المطلقة بسرعة لتغطى كل شيء) .

بيرونكا : هل لاحظت شيئا ؟

خوليو : (مرتبكا) لا .

بيرونكا : لقد نظرت الى

خوليو : صحيح ؟ لعلها صدفة .

بيرونكا : ألا ترى شيئا أبدا .. ولو للحظة ؟

خوليو : (بتردد) كلا

(تعود الأضواء الخيالية ، ملامح بيرونكا تعود للجمود الذاهل)

بيرونكا : ألا تخدعنى ؟

خوليو : لماذا أخدعك ؟

(يعبر المـــكان ليجلس على الأريكة ، يتزايد الضوء المسلط عليه)

بيرونكا : ضحكت عدة مرات وأنت تتحدث معهم .

خوليو : نعم (يضحك) نعم

بيرونكا : كنت تتخيلهم ؟

خوليو : أجـل

بيرونكا : على الشكل الذى تريده ؟

خوليو : نعم ، لحسن الحظ (صمت قصير) أفضل هذا يا بيرونكا ، هذه الخيالات الأخرى التى تفرض نفسها على أحيانا .. من أين تأتى ؟

بيرونكا : أنت تعرف جيدا أنها تأتى من عقلك

خوليو : يبـــدو كما لو كانوا هم الذين يتخيلوننى أنا (بصعوبة) كثيرا ما تكون خيـــالات حقيقية لدرجة أنى أخشى ..

بيرونكا : تخشى على صوابك

خوليو : أرجو أن أحتفظ بصوابى ، لا أومن بالأرواح، وأدرك أن هناك أركانا فى عقلى تعرف أكثر منى نفسى ، هى أوكار هذه الأشباح التى تعـرف أيضا أكثر منى ، وهذا ما يقلقنى ، لأنه يبـدو أحيانا وكأنها تبعث لى بتحذيرات غامضة (يمد يده فتضغط هى عليها) أفضل الخيالات التى أتصورها أنا ، وهى التى تجعلنى أضحك

بيرونكا : التى تسيطر عليها

خوليو : (باسما) نعـم

بيرونكا : أتحكيها لى ؟

خوليو : لا داعى لهذا ..

بيرونكا : (بعد برهة) تتصورهم على أشـــكال غريبة مضحكة ، كذابون ، يستحقون الاحتقار ، كما

لو كانوا ممثلين فى مسرحية هزليـة .. هـل أخطأت ؟

خوليو : (وهو يكتم ضحكة) شيئا كهذا

بيرونكا : أشكالا « كاريكاتورية »

خوليو : كما هم .. سأرسمهم هـكذا .. ان عاد الى بصرى يوما

بيرونكا : (تبتسم وتنحنى لتحتضنه بحنان دون أن تنظر اليه) أيها البرجوازى الصغير ..

خوليو : (يتخلص منها بجفاف) هل أنا برجوازى .. لأننى أراهم مضحكين ؟

(ينهض ويذرع الغرفة جيئة وذهابا)

بيرونكا : ستتعثر

خوليو : (بلهجة لاذعة) منـذ عميت وأنا أرى أحسن (يتوقف) وأراهم أحسن أيضا ، أم تفضلين أن أراهم مثل آلهة أبى المحلاة الصغيرة ؟

بيرونكا : (لا تزال تنظر فى الفراغ) لا .

خوليو : يدهشنى رد الفعل عندك . ألم نضحك سويا مرات عديدة من نفاقهم ؟

(كان يتجه نحوها ولكنه يتعثر فى حافة قطعة أثاث ، تقترب هى ويبدها العصا وتضعها له فى يده)

بيرونكا : خذ عصاك

خوليو : تعيدينها لى الآن ؟.. بسخرية ؟ (يمسك بعصاه) حسنا .. هاتى ! .. ولو تعثرت ؟ اننى أراهم بوضوح تام (يتحسس بالعصا ويقترب من بيرونكا) كنا نراهم ، وفجأة تستنكرين ذلك ، كما لو كنت قد انغمرت فى عذوبة وديان سلامهم الشهيرة ..

بيرونكا : ليس هذا

خوليو : اذن ..

بيرونكا : الضحك والهجاء قاسيان ، لكنهما صحيان .. بعض الناس عرفوا كيف ينظرون بهذه الطريقة ، قليلون ، لأنها نظرة صعبة ، هى نظرة الافاقة من الخداع ، لكن فجأة .. أخذ كل الشبان حسنى التغذية ينظرون هكذا ..

خوليو : انها نظرتنا

بيرونيكا : بل هى آخر صيحة ، كى يثبت الانسان منهم لنفسه صبغته الثورية ويحتقر الطبقة البرجوازية وينظر اليها كما لو كانت ديدانا صغيرة ، أما هم فوسيمون •• طوال ، واعون •• آلهة جاءت لتحكم بين الضحكات على هذه الحشرات وتعد لها الجحيم ، مادام أنه ليس هناك قاض الهى •

خوليو : أو ليس الأمر كذلك ؟

بيرونكا : هذا يتوقف على من يحكم ، وعلى سبب المحاكمة •

خوليو : لو لم تتعلمى رؤيتهم مثل الحشرات كما هم فلن تجرؤى على سحقهم •

بيرونكا : حشرات ؟ •• بل وحوش ضارية •• على مستوانا البشرى ، وعظيمة الخطر لأنهم لا يعرفون من هم ويظنون أنهم نفوس نبيلة حتى عندما يخطئون • هذا الخطأ يكلفهم غاليا، لكن على المدى الطويل ، وهو يجعلهم الآن

أشد قوة لأنهم سـادة الأرض ، الضحك منهم تبسـيط للأمور •• هروب •• احتقار للعدو لامتصـاص صـدمة الخوف التى تبعثها فينا قدرته • لا بد لنا من أن نتعلم صراعهم كذئاب، لا كحشرات ، والا •• فاننا عندما نضحك من ضعفهم فانهم يقطعون ضحكاتنا وحماسنا بأنيابهم الضارية ••

خوليو : فرأيك اذن أننى أسخر بهم تقليدا لآخر صيحة وحتى خوفا منهم ؟

بيرونكا : لا أؤكد هذا •• بل أخشاه •

خوليو : (ببرود وبعد برهة قصـيرة) هل أنت ضـد الشباب •

بيرونكا : هل الشباب هو أنت ؟

خوليو : (حائرا) لم تحدثينى أبدا هكذا ••

بيرونكا : لا ، لقد التقيت معك •• مثل أم صغيرة •• (بشجن) وهذا ما كنا نحتاجه نحن الاثنان •

(بعزم) لكن حنانى الأموى يضرك ، وينبغى أن أكفكف منه .

لخوليو : أنت أيضا شابة ..

بيرونكا : لهذا أستطيع الحكم على الشباب ، خصوصا على هؤلاء الذين لم يعانوا الفاقة قط .

خوليو : ليست هذه هى حالتى !

بيرونكا : تمرست معى ببعض العوز ، لكن ليس بالقدر الكافى ، لأنك لم تكن تجهل أن أباك سيساعدك دائما ، وأنك شاب غنى تلعب لعبة الفقر .

خوليو : (بمرارة) لو كان هذا هو ظنك فى لكان ينبغى لك البقاء فى باريس .

بيرونكا : (بدون أن تنظر اليه تقترب منه وتحتضنه) جئت معك كى أساعدك يا خوليو وأحاول أن أفهم لماذا أصبت بالعمى ، ولن تعود للابصار مالم تر داخلك أولا .

خوليو : (بتواضع وشبه رقة) نحن الاثنان نعرف السبب .

بيرونكا : (بشـــك) •• نظن أننـــا نعرفه (يبتعد عنها بجفاف) •

خوليو : ألست متأكدة •

بيرونكا : أصبحت لا أعرف شيئا •• ألاحظ •• وأخشى أنك لن تشفى هنا فلنعد الى باريس ، اتركهم جميعا وسط جذامهم الرغيد ••

(يظهر فيليب من وراء الستارة وقد لبس نظارة مقعرة ويتقدم فى صمت دون أن يكشفه الضوء كثيرا • يلتفت نحوه خوليو باهتمام) •

خوليو : أهلا •

(فيليب يتوقف) •

بيرونكا : أتتكلم معى ؟

خوليو : ألم يدخل أحد ؟

بيرونكا : لا •

خوليو : بدا لى أننى سمعت وقع خطوات •• (يظل منتبها وغير واثق ، يقترب الأب من بيرونكا التى

تثبت عليه نظراتهـا ، يبتعد خوليو عنهما) •
تريدين العودة حقا ؟

بيرونكا : (تنظر بذهول الى فيليب) معك ، نعم (شبح فيليب يقف خلف بيرونكا ويمد يده ليخاصرها)

خوليو : تعرفين أننى لا أريد •• لا أريد الآن ، ربما كنت أيضا لا تريدين وتتكلمين هكذا •• من قبيل الشكليات (يتجول فى الغرفة) لكن قولى لى : ألا يبدون لك الآن حشرات ؟

بيرونكا : أنا أمقتهم أشد منك ، لكن بطريقة أخرى •
خوليو : بطريقة لا تمنعك من أن تجدينهم حتى لطافا •
ألا تستلطفين أبى ؟

بيرونكا : لا يجب أن تشوهه كى تحكم عليه ، ان المريع فى أبيك هو أنه لطيف !
(صمت ، يجلس خوليو على الأريكة ويخفى وجهـه بين يديه) ألا تريد أن تتنزه قليلا فى شوارع المدينة ؟

خوليو : أنا متعب !

بيرونكا : هل أقرأ لك شيئا ؟

خوليو : لا •

بيرونكا : (الى فيليب) معذرة ••

خوليو : (بسرعة) أهناك شيء تعتذرين عنه ؟

بيرونكا : (الى فيليب) ان كنت قد ضايقتك ••

خوليو : (ضاحكا) لا •

بيرونكا : (الى فيليب) كنت أشد حاجة لى من قبل •

خوليو : كنا نحتاج الى بعض •

بيرونكا : (الى فيليب) أنا دائما محتاجة اليك ، وأنت ؟

خوليو : اتركينى وحدى •

بيرونكا : (الى خوليو) الى الأبد ؟

خوليو : (بحدة) ماذا تريدين أن تقولى ؟

بيرونكا : (الى خوليو) ألاحظ برودك منذ أيام (تزداد اقترابا من فيليب الذى لا يريم ساكنا وتداعبه) حتى جسدى لم يعد يثيرك ! (بصعوبة) ان كنت أضايقك سأرحل •

خوليو : اتركينى وحدى من فضلك •

بيرونكا : وصلنا الى هذا الحد .. لكن ربما تتعود آنت .

خوليو : علام ؟

بيرونكا : على الجزيرة وأهلها ، فأنت شاب جذاب وموسر ، وسيكون عذابك ممتع وفاخر .. وربما وجدت فتاة أخرى من طبقتك ..

خوليو : هائل .. ! أصبحنا تتبادل نفس التهم ، أنت تظنين أننى أتظاهر باحتقارهم ، لكننى أتكيف معهم ، وأنا أشك فى أنك تريدين الرحيل بالرغم من أنك تصرحين بذلك (يضحك) يالها من شكوك ، من منا معه الحق ؟

بيرونكا : ستكشف الأيام ذلك .

خوليو : ستكشف .. لكن هنا ، سأستعيد هنا بصرى ، هنا فقط ، سأرى هنا بوضوح ، ما فى داخلى وما فى داخل الآخرين ، أتفهمين ؟

بيرونكا : (بعد أن تنظر الى فيليب) لا . (صمت ، بيرونكا تنظر بوله الى فيليب) .

خوليو : (بتمزق) اقتربى يا بيرونكا !
(تنتزع بيرونكا نفسها من فيليب وتذهب الى جانبه وهى تحدق فى الفراغ يحتضنها خوليو بانفعال عاطفى معذب ، وتنزلق يده بشراهة على ظهرها تستجيب له بيرونكا بمداعبات حانية ، يتراجع طيف الأب فى صمت ويخرج من خلفية المسرح ببطء) •

بيرونكا : خوليو !

خوليو : (يعتصر ذراعيها ثم يبعدها عنه ليواجهها) أتنظرين الى عينى ؟

بيرونكا : طبعا ياحبيبى (لكنها لا تنظر اليه ، يبتعد هو عنها ويجلس) •

خوليو : أريد أن أبقى وحدى •

بيرونكا : (وهى تحملق فى الفراغ) مع أشباحك ؟

خوليو : اسكتى !

بيرونكا : حتى ولو عذبتك ، أفضل من أجلك الخيالات التى تقلقك على تلك التى تخترعها لتلهو بهـا

وتضحك منها ، فانها لن تنقذك .

(تخرج من ناحية الستارة ، يقطب خوليو حاجبيه بكآبة ، يتزايد هدير الموج وتتكاثف الظلال ، بعد لحظات يسمع صوت نوريا) .

نوريا : هل أضايقك ؟

خوليو : من أنت ؟

نوريا : ألا تعرف صوتى ؟

خوليو : نوريا ؟

نوريا : أجل .

(يصب عليها كشاف بؤرة ضوء ، يبدو وجهها الصبيانى أكثر طفولة وكأنه وجه دمية صغيرة ، يلاحظ خوليو مظهرها الغريب ، ترتدى فستانا قصيرا جدا وغير مناسب لعمرها لأنه مما تلبسه الفتيات فى سن السادسة) تركت صديقاتى كى أعود وحدى الى المنزل .

خوليو : لماذا تريدين العودة وحدك ؟

نوريا : لا أريد العودة وحدى .

خوليو : اذن ؟

نوريا : (ضاحكة) أبله .. هل نتناول بعض المرطبات ؟ اننى مرهقة من الحر (تذهب ناحية البار) ماذا تريد أن تشرب ؟ سأشرب أنا عصير برتقال مثلج، والداى لا يسمحان لى بالشراب ولا بالتدخين .

خوليو : وتطيعينهم ؟

(يترك العصا على جانب، وتعبث أصابعه بالخنجر الفاتح للكتب المزركش) .

نوريا : (وهى تبحث عن زجاجات وأكواب) أحيانا أشرب كأسا فى الحفلات التى أذهب اليها معهم ، وعدونى بأن يسمحوا لى بالشرب قليلا العام القادم .

خوليو : وأنت ترغبين فى هذا ؟

نوريا : ان لم تشرب تعبت ، لأن الأولاد يسخرون منك، ماذا أعد لك ؟

خوليو : عصير برتقال مثلك .

نوريا : عاش ، عاش .

خوليو : وهم ، لماذا يشربون ؟

نوريا : (وهى تسكب العصير فى أكواب) الأولاد ؟
خوليو : آباؤنا ؟
نوريا : (تفكر قليلا) لأنه ليس لهم آباء يمنعونهم •
خوليو : فهم هكذا يحرمون على غيرهم ما يحلونه لأنفسهم •
نوريا : يسحرنى الحديث معك ، ماذا تفعل ؟
خوليو : لا شىء •
نوريا : اترك هذا الخنجر (تذهب تجاهه) انه حاد جدا وربما جرحك •
(تنزعه منه وتعود به الى البار حيث تقوم بعملية غريبة ، تطعن نفسها (بالخنجر طعنة فى ذراعها ينبثق منها الدم غزيرا وتتركه يتساقط فى الكوب الفارغ حتى يمتلىء ، تبدو أمارات الانزعاج على خوليو لما يتخيله) •
أنت تعرف أكثر منهم جميعا ، وأكثر منى ، (تذهب نحوه ومعها الكوبان) أنا •• أحب دائما أن أسمعك •
(تجلس الى جانبه ، تمسك يده وتجعله يتناول كوب الدم) •

أتشرب فى صحتنا نحن الاثنين ؟

خوليو : فى صحتنا نحن الاثنين • (يشربان) •

نوريا : هل تعرف أننى أحببتك منذ كان عمرى ثمانية أعوام ؟

خوليو : أتمزحين ؟

نوريا : (ضاحكة) أوكد لك ، كنت لا أنام من التفكير فيك ، وأبحث عن الأماكن التى أستطيع منها أن أراك وأنت تمر •• ألم تلاحظ ذلك ؟

خوليو : لا •

نوريا : هذا طبيعى ، فمن ذا كان يجرؤ على الكلام معك ، وأنت حينئذ فى الثامنة عشرة ؟ كنت تبدو فى عينى رجلا كبيرا ، أعطيتنى مرة بعض قطع الحلوى ، كنت أحبها لدرجة الجنون ، أتعرف ؟

خوليو : نعم ، أتذكر أنك كنت تحبين الحلوى •

نوريا : لكننى لم آكلها •

خوليو : لا ؟

نوريا : كنت أتحسسها كل يوم حتى أصبحت زلقة واتسخت ، عندئذ أكلتها • أتعرف كيف ؟

خوليو : لا

نوريا : جثوت على ركبتى ، وأغمضت عينى ، ووضعت الحلوى فى فمى وأخذت أصلى (صمت قصير) أصلى لك •

خوليو : ياله من هراء !

نوريا : تظن ذلك ؟

(صمت ، يبدأ الكوكب المعلق فى الدوران ببطء ، يرشف خوليو جرعة ، وهى تراقبه بارتياك ، يتجرع خوليو بقية الكوب مرة واحدة وتتنفس هى بعمق وارتياح مغمضة عينيها وملقية برأسها الى الوراء) •

خوليو : أوهام أطفال !

نوريا : (تشرب بقية كوبها ثم تأخذ كوب خوليو وتذهب الى البار لتتركهما) أتذكر شكلى ياخوليو ؟

خوليو : أذكر تلك الطفلة ، ومع ذلك رأيت أيضا بعض صورك الحديثة ! ..

نوريا : (تذهب نحوه) لقد كبرت ، (صمت) سأكمل خمس عشرة سنة .

(تقف من خلفه وراء الأريكة)

خوليو : طفلة فى الخامسة عشرة !

نوريا : ليس الفرق الآن كبيرا كما كان عندئذ . وخلال سنوات سيكون أقل !

وسأعرف أشياء أكثر ، ويمكننا أن نتحدث مثل صديقين حميمين فى كل شىء (تستدير حول الأريكة وتجلس الى جانبه) .

خوليو : أليس الكلام مع أعمى شيئا مؤلما ؟

نوريا (باسمة) لكنك ستشفى .

خوليو : وربما لا .

نوريا : (ضاحكة) نعم ستشفى (بجد) وحتى لو لم تشف ، لن أمل أبدا من الكلام معك .

(تمسك بيده ويبدو كما لو كان يشعر بخدر) •

خوليو : (ببرود) شكرا !

ينهض ويمشى متحسسا بعصاه ناحية الجانب الزجاجى ، وهناك يتنسم هواء البحر وينصت لهدير الموج) •

يبدو لك هذا أمرا سهلا ، وربما كان كذلك ، فمادامت هناك ثروة طائلة ، وخدم وصداقات مسلية دائمة ، وملاه •• قد تصبح الحياة بجانب أعمى رومانسية جدا ، فالقصص التى تقرئينها تحكى عن هذه الأشياء ، حكايات عاطفية لبنات ليس لهن مشاكل •

نوريا : أتظن أننى لن أكون مستعدة لذلك بدون ثروة ؟

خوليو : (ضاحكا) قصة أخرى ؟

نوريا : ومع الثروة ياخوليو •• لم لا ؟ اننى سعيدة لأن آباءنا موسرين فهذا يسهل الأشياء ، الأموال الآن من عوامل السرور ، وكل الناس سيصبح

لديهم الكثير ، والفقراء لم يعودوا على هـذه الصورة من الفقر •

خوليو : لا ترددى هذه الحماقات •

نوريا : أبى يفهم كثيرا فى المسائل الاقتصادية، وهو الذى يقول ذلك •

خوليو : لأنه يريد أن يخدع نفسه ويخدع الآخرين •

نوريا : أنا أعرف أن هناك فقراء ، لكنهم كل يوم يلقون رعاية أكثر •• وفى بيتنا يخرجون صـدقات كثيرة •

(يهمهم خوليو ساخرا ، ويدور الكوكب المعلق بسرعة أشد وقد تسلطت عليه الأضواء الملونة فتنبعث من حوله ومضات خاطفة قوية) •

ان الحياة جميلة جدا ياخوليو ، ستفهم ذلكعندما يعود اليك بصرك ، ووجهى أيضـا جميل كما يقولون • (تنزع القناع الطفولى وتتركه على الأريكة وتشرع فى النهوض) لم أعـد هذه الدمية التى تتذكرها • (يضحك خوليو برفق) •

أبوك شغوف برسمى ، يمكنك أنت أيضا أن ترسمنى ان أحببت .. كما سأرسم أنا صورتك.

خوليو : ترسمين ؟

نوريا : (باسمة) لوحات مائية ، سيئة للغاية ، أعطانى والدك بعض الدروس .. ويمكنك أن تستمر فى اعطائى دروسا أخرى .. هذه الخطيبة التى أحضرتها جميلة ، لكن .. أليست أكبر منك بكثير ؟

خوليو : (يكتم ضحكة) نعم .

نوريا : لا يمكن أن تنفعك كنموذج للرسم لسنوات طويلة .

(يقهقه خوليو بالضحكات ؟ لا تضحك ، لم أعد طفلة !

خوليو : لا تريدين أن أعاملك كطفلة .. حسنا .. سأتحدث اليك كامرأة .

نوريا : (تقترب منه) أفضل هذا .

خوليو : لكن أبويك سيعتبرانها فضيحة ويقولان لى :

كيف تجرؤ على تكدير فرحة البنت بأحقادك ؟

نوريا : (تخفض صوتها) أنا امرأة !

خوليو : بلا شك ، بلا شك •• أتسمعين الأمواج ؟

نوريا : نعم •

خوليو : أى سلام وسكينة ؟ أية متعة فى استنشاق الهواء على هذا الشاطىء !

نوريا : (بتأثر واغتباط) خوليو !
(تصل الى جانبه وتخاصره) •

خوليو : الناس سعداء ، يسبحون ويضحكون ويلعبون •• أنت أيضا كذلك تلعبين أيضا بجوار أعماك المحبب على أنك بطلة فى قصة •• وليس هناك ما تخافين منه ، وعند العصر تركبين دراجتك أو تلعبين « التينيس » •

نوريا : أو أعود لأجلس مع أعماى ان كان يفضل ذلك •

خوليو : لو كان هناك وقت •

نوريا : لا أفهم ما تعنى •

خوليو : ربما ننفجر خلال لحظات ، أعتقد أنك تعرفين هذا .

نوريا : (فزعة) عم تتحدث ؟

خوليو : هذه السماء الصافية اللامعة تعبرها طائرات .

نوريا : (مطمئنـــة) آه .. أجل .. الخطر الذرى ، تمر كل يوم قرب الشاطىء محملة بالقنابل . لا يمكن أن تنفجر بدون أجهزة خاصة للتفجير ، كل الناس يعرفون ذلك الآن .

خوليو : يمكنهم أن يلقوها عمدا .

نوريا : لا .

خوليو : لم لا ؟

نوريا : لسنا فى حرب .

خوليو : ومن أدراك ؟ عندما يعلنون الحرب العـالمية الجديدة قد لا يخطروننا بذلك . ربما لا يكون لديهم وقت .. حتى لاعلانها ، كيف يمكن أن نطمئن الى أن « التليفزيون » لا يقول ذلك

الآن ، قبل لحظات من القاء قنبلة أخرى عليه تخرسه •

نوريا : أتتكلم جادا ؟

خوليو : ربما أصبحت الطائرات قريبة ولم يتبق على حياتنا الا ثوان •

نوريا : أنت تهذى ، لن يحدث شيء ، ولو حدث فسنعرف ونهرب •

خوليو : الى أين ؟ (صمت)

نوريا : (ترتجف وهى تحاول الابتسام وتبعد خوليو خطوات عن الحائط الزجاجى) من الطبيعى أن تكون لديك مثل هذه الأفكار السوداء •• لكنك ستتخلص منها بسرعة ، كلنا نحبك ولن يحدث شيء ، لن تقع أية قنبلة •

خوليو :منذ سنوات وهى تقع ، وليس هناك من يوقفها، انها تقترب •• تدور فى دوامة مثل كوكب يهبط ليدمرنا •• (يضحك) تدور مثل هذا الكوكب المحلق •

نوريا : (تضحك بعصبية) أنت تضحك على •• هذه الزينة المعلقة لا تتحرك الآن وعندما تفعل ذلك تكون رؤيتها ممتعة •

(يدور الكوكب بسرعة) •

خوليو : ممتعة مثل زرقة السماء المائية وقد عجت بالطائرات ، أليس كذلك ؟

نوريا : الطائرات مرة أخرى ؟ سأقرصك (تقرصه) •

خوليو : (باسما) هذا يضايقك ؟ لنغسل اللوحة المائية ونمسح منها الطائرات ، مبسوطة ؟

نوريا : (ترقص معه بفرح رقصة دائرية) انتهت ، لن تمسح ، ليس هناك الا سماء رائعة !

خوليو : (يضحك ، تزداد سرعة دور ان الكوكب) وملوثة ! (نوريا تأخذ فى التوقف)

نوريا : ملوثة ؟ (تتوقف تماما) قذرة قليلا ، لكن فى المدن ••

خوليو : (يترك يد نوريا وهو يبتسم بحركة جافة ويذهب ليعتمد على حائط خلفية المسرح) لم يعد هناك

مكان على الأرض لا تتنفس فيه الموت ، هذه الزرقة الشفافة التى ترينها هى أيضا مدنسة ، كل الهواء الذى تطهره الطبيعة لا يكفى لتجديد ما نلوثه كل يوم ، انها بيانات رياضية كشف عنها العلماء ، أنمسج الهواء من لوحتنا ؟

نوريا : (وهى تتقدم نحو الأريكة وتتكىء على مسندها الخلفى) أنت تسخر منى •

خوليو : يتبقى لنا الماء ، وليس أقل زرقة ، ولا تعفنا ، فطحالبه التى تولد معظم الأوكسجين فى الجو أخذت تموت ، كما أخذ السمك ينقرض ، لأن الماء هو هواؤه وقد ملأناه أحماضا ، لكن الناس ليسوا قتلة فقط ولكنهم ينتحرون • كلما ازدادوا انجابا زادوا فقرا ، وكلما تحسنت الأدوية زادت الأشعة القاتلة فى العظام ، وفى صلب أبنائهم ••

نوريا : (تذهب الى البار وتتكىء عليه) خوليو ! من فضلك ••

خوليو : خلال أربعين عاما سيصل تعداد البشر الى ثمانية آلاف مليون نسمة ، أكثر من ضعف تعداد اليوم ، فلو كان قد بقى لهم شيء يشبه الهواء يتنفسونه فان أرضنا الفقيرة لن تستطيع توفير الغذاء لهم ، كل هذا يسمى « اكولوجيا » أى علم أثرا البيئة فى الحيوان والنبات ، وهو علم هام ، منذ أعوام وهناك مؤتمرات يلتقى فيها علماء تدفع لهم مرتبات كبيرة ليتدارسوا ما يمكن عمله •• وسوف تستمر الدراسة ••

نوريا : (شبه صارخة) لا أفهم •

خوليو : (بجفاف) اذن لا تشغلى نفسك ، ربما لم يتبق لنا أربعون عاما ، ولن ترى أبناءك وهم يتقاتلون على كسرة خبز عفنة موزعة بالبطاقات ، أو يتقاتلون كى ينزعوها من فمك ، ربما تحل المشكلة بسرعة تلك القنابل التى تدور فوق رؤوسنا وتقترب منا (يتجه بوجهه ناحية كوكب الزينة المعلق الذى ينثر الشرر فى كل مكان ، تنفجر نوريا فى البكاء وترتمى على الأريكة

وتحاول عبثا أن تغطى وجهها بالقناع الطفولى)•

لا تبكى •• أنا أحبك •• مثل أختى الصغيرة •• أنت يجب أن تتجنبى هذا ال •• عمى الأزرق الذى قدر علينا جميعا ، أنا هربت منه ووقعت فى عماى الأسود •

(تنطفىء كل الأنوار بسرعة ويعم ظلام دامس) عماى الأسود الممتع ! •

أتسمعين الأمواج ، ان البحر أم تغنى •• ويجب علينا أن نطيعها •• وننام !

(صمت ، نعود لنسمع نشيج نوريا الممزق)

نوريا : خوليو !

خوليو : لا أريد أن أوذيك ، كل ما أريد هو أن أكافح ضد الأذى الذى يوقعونه عليك الآن ، لكن لو كنت لا تطيقينه فعليك بالنسيان والعودة الى ألعابك الطفولية (صمت آخر تتخلله تأوهات نوريا) أنت التى أردت أن أحدثك كامرأة ••

(يسمع فى الظلام صـــوت فيليب واضحا مفعما بالغضب المكتوم) .

فيليب : ما أسوأ ما فعلت !

(يسلط كشاف بؤرة ضوء على فيليب الذى يبدو بزرقته الداكنة ونظارته السوداء وقد أخذ نوريا بين ذراعيه ، كما تعـــود الأضـــواء غير الواقعية ، الكوكب المعلق لا يتحرك) .

خوليو : (يشعر بأنه قد هزىء به) منذ متى وأنت هنا ؟

فيليب : لا أهمية لهذا ، سمعت منك مافيه الكفاية .

خوليو : لم تخبرينى يا نوريا .

نوريا : أمرنى أبوك بأن أصمت .

فيليب : وأسأت فى هذا التصرف أيضا ، كان يجب أن أقاطعك من قبل ، لكننى أردت التأكد .. لم أكن أظن أنك تجرؤ ..

خوليو : (هازئا) على تكدير فرحة البنت بأحقادى ؟

فيليب : وغد ، لا تستحق ما نفعله جميعا من أجلك ، ولا عطف هذه الصبية ، ولا ..

خوليو : (شبه ضاحك يتقدم الى المستوى الأول من المسرح) ولا عطفك !

فيليب : انسى كلماته يابنية ، أقسم لك أنها زائفة ، واهدئى ، لا تبكى أكثر ! خذى منديلى (يأخذ القناع الذى كانت تمسكه بيديها ويضعه لها بنعومة ، يبتسم خوليو) والآن عودى الى منزلكم والى ألعابك وضحكاتك .. ضحكاتك طيبة ونظيفة (باسما) لن يحدث لك شيء سيء ، لن يسمح أبواك ولا أنا بهذا ، ستكونين سعيدة ، وسترين ، ليس العالم كما يصفه هذا الأحمق ، هيا ، انتهى كل شيء (يدفع نوريا نحو الستارة بحنان وعطف) اذهبى مع والديك ، اتركينى معه ، على أن أقول له بعض الأشياء .

ياعروستى الصغيرة ، غدا ستنالين شيئا تحبينه حتى درجة الهذيان ، أعدك بهذا ، (تهم بالخروج ولكنها تتوقف) .

نوريا : لا تتشاجر معه ، يتكلم هكذا لأنه يتعذب .

خوليو : (بصرامة) شكرا يا نوريا .

فيليب : لا تتألمى أنت لشىء يانوريا ، وداعا يابنية !

(يقبلها ، تخرج هى عبر الستارة ، صمت ، يتزايد الضوء الشجى ، يتجه خوليو نحو البار متحسسا ويتكىء على منضدته التالية ناصبا رأسه) .

لا أريد عراكك .. لديها حق ، أنت تتعذب وأنا أتعذب معك ياولدى ، أكثر مما تظن ، فالأبناء هم .. كل حياتنا ، ونحن مستعدون للتضحية بها من أجلكم دون تردد .

(يضحك خوليو بهدوء ، يتقدم فيليب ناحية الأريكة والمقاعد) .

خوليو : لا تشغل نفسك كثيرا من أجلى ، من سوء حظك خرجت عاقا ، لكن لحسن الحظ عندك أخى .. نموذجى فى فضائله .

فيليب : لا تظن أننى أوثره عليك ، هناك نور فى روحك ليس لديه ، أتظن أننى لا أدرك هذا ؟

خوليو : شكرا •

فيليب : (يجلس على الأريكة) لن ألومك على شىء ، لكننى أرجو منك شيئا ••

خوليو : هل جلست ؟

فيليب : نعم •

خوليو : أخذت أتعلم •

فيليب : (يزفر) كنت أقول اننى أريد أن أرجوك شيئا ، ليس لك الحق فى أن تزعجها وتحزنها •• لا تتكلم هكذا الى نوريا •

خوليو : كان من الطبيعى أن تكلمنى بمثل هذا الحنق ، بالرغم من أنك لم تفعل هذا من قبل ، لا تعتذر•

فيليب : أنا لا أعتذر •

خوليو : نعم ، أفهم ، كنت تدافع عن أحد أولادك •

خوليو : تعتذر أمام نفسك لأنك رفعت صوتك على ابنك الأعمى •

فيليب : أفهم ما تريد ، غاظتنى قسوتك مع هذه الطفلة .

خوليو : نعم ، أفهم ، كنت تدافع عن أحد أولادك .

فيليب : أحد أولادى ؟ ما دخل هذا بأخيك ؟

خوليو : أقصد نوريا ، من الطبيعى أن تغضب عندما ترى بنتك تبكى .

فيليب : (ينهض) ماذا تقول ؟

خوليو : هل نهضت ؟

فيليب : نعم .

خوليو : (يهز رأسه برضا) أتظن أننى أجهل أنك أبوها؟ هذا بديهى جدا ما على الانسان الا أن يرى كيف تعاملها وتدافع عنها حتى ضد ابنك المفضل .

فيليب : (مرتبكا) هذا كذب .

خوليو : لا تصمنى بالكذب يا أبى ، هذا قبيح ، لأنك تعرف أننى لست كذابا .

فيليب : أنت مجنون ! نوريا بنتى فى العماد .

خوليو : أنت أبوها فى العماد لأنك أبوها فى الحقيقة ، لقدر رأيتك وأنا صبى صغير تبحث عن يد

ماتيلدى وتحتضنها وتقبلها وتبتعد عنها بسرعة اذا دخل الزوج •• عندما نكون أطفالا نكون جواسيس ، لا ترونا ، ولكننا نراكم •

فيليب : (متلعثما) لا تعرفون ما ترون ، تخلطون المزاح وقبلات الأصدقاء بـ ••

خوليو : (ساخرا) أصدقاء ؟

فيليب : (وهو يذرع الغرفة مضطربا) ماذا يفهم الصبى؟ يرى الجنس فى كل مكان لأن الجنس يبدأ فى اقلاقه •

خوليو : يرى الجنس لأنه موجود ، على أن هذا طبيعى، شأن كل موسر خلى ، فأنت عندما تنام مع زوجة أعز أصدقائك لاتفعل الا آخر بدعة، وهى بدعة سهلة عليك أنت ، لأنك دائما كنت غازى النساء •• وربما أحلف لك أن « مارجوت » هذه البلهاء المسكينة ليست الا غزوة أخرى قديمة لك ، تتهالك كى ترضيك بمقالاتها الحلوة، ربما رجاء أن تدفع لها وترضخ لرغبتها فى تذكر شهوات قديمة ، لكن هذا ينبغى الصمت عليه ••

أو تطبيق لغتكم المدهشة ، فالمداعبة الفاحشة قبلة صداقة ، وخيانة الصاحب عطف على زوجة لا تجد الاشباع الكافى ، عطف ممتع ، لأنه ربما لم تكن هناك خيانة ، فالصديق موافق ..

فيليب : (وقد توقف لسماعه) اسمع يا خوليو !

خوليو : والابنة بنت فى العماد (يعود فيليب للجلوس) كل هذا ، قبل أن يتغير مستنقعكم الجميل .

فيليب : هذا الحوار ياخوليو لا معنى له ، ليس لديك أى دليل على ما تقول ، وأنا لا أعترف بأى شىء، أرجو أن لا تنسى هذا وأن تكون حكيما .

خوليو : سأصمت ، هذه البنت المسكينة تثير عطفى ، شوهتموها لدرجة أنها لن تتحمل الحقيقة . وعليكم أن تأخذوا فى اعطائها جرعات صغيرة من الحقيقة وتصبروا حتى تنضج ويمكنها أن تفهم .

فيليب : أرجو أن لا تكون هنا حينئذ .

خوليو : وأنا أيضا .

فيليب : (يزفر) تعال الى جانبى يابنى ، ولنتحدث سويا .

خوليو : أنا مرتاح هنا •

فيليب : أهم شيء الآن هو شفاؤك ، فمنذ عشرين يوما وأنت مريض ••

خوليو : أعمى •

فيليب : لأنك تريد هذا فيما يبدو ، وقد عرضتك فى باريس على أخصائى عيون وثلاثة أطباء آخرين وكلهم أجمعوا •• عمى نفسى •

خوليو : هستيرى •

فيليب : لا تفزعنى الكلمات ، أتخير كلمات أخرى من أجل اللياقة التى تسميها أنت نفاقا ، فعندما أرسلت خطيبتك ••

خوليو : عشيقتى •

فيليب : عندما أرسلت بيرونكا البرقية وكنت مريضا منذ عدة أيام أسرعت الى جانبك وأحضرتكما أنتما الاثنين معى كى تستريحا ••

خوليو : ولماذا أحضرتها هى أيضا ؟

فيليب : (مندهشا) أنت نفسك الذى طلبت منى ذلك •

خوليو : (بعد برهة) صحيح •• استمر !

فيليب : لك هنا ثمانية أيام ، عيناك سليمتان ، ألم تمر عليك أية لحظة رؤية عادية ؟

(صمت قصير) .

خوليو : لا .

فيليب : أشار أحد الأطباء الى أنه يمكن أن تمر بك هذه اللحظات .

خوليو : (بعد هنيهة) أهذا كل شيء ؟

فيليب : كنت أريد أن أرجوك للمرة الثانية أن تزور الطبيب النفسى .

خوليو : (ضاحكا) كنت أتوقع ذلك .

فيليب : انه طبيب ممتاز .

خوليو : لا أريد طبيب الأغنياء .

فيليب : أنت لست فقيرا .

خوليو : لا ، فأنا ابنك ، لنتحدث عن شيء آخر (صمت قصير) .

فيليب : حيث أنك لا تريد فقد زرته أنا (بدهشة مغيظة

يلتفت خوليو نحوه) لم تكن خيانة لك ، فما يحدث لك ليس سرا فى الجزيرة ، كنت أريد أن أعرف رأيه •

خوليو : (ببرود) مهم جدا •

فيليب : وسألته عما اذا كان من الممكن أن أصارحك به •• فوافق على ذلك •

(يجلس خوليو على المقعد الأيمن بجوار الأريكة) ربما ضايقك الافتراض •• لكنه قد يساعدك أيضا •

خوليو : يالها من موارية •

فيليب : هل استرعى انتباهك هذا التوافق الغريب ؟ فى الوقت الذى كنت تفتتح فيه معرضك كنت أستعد هنا لافتتاح معرضى !

خوليو : ثم ماذا ؟

فيليب : بطبيعة الحال ينتهى التوافق عند هذا الحد ويبدأ الاختلاف ، فأنا لست الا هاويا ليست له أية أغراض أخرى ، أعرض رسومى فى هذا الركن

من قبيل التسلية ، أما أنت هناك فتواجه العالم
•• كى تغزوه ••

خوليو : (بضحكة يسيرة) سوف أساعدك ، معرضك ينجح ومعرضى يغرق فى الفشل حسن هذا ؟

فيليب : ليت الأمر كان على العكس ، فلو لم ترق لوحاتى المائية أحدا لما أضارنى ذلك كثيرا • (بجدية) وما كنت لأصاب بالعمى •

خوليو : (منتفضا) ماذا تقول ؟

فيليب : لا تنهيج •• فكر معى •

خوليو : ومع الطبيب النفسى ؟

فيليب : ومع الطبيب النفسى •

خوليو : (ضاحكا) تظنان أننى أصبت بالعمى نتيجة لهذا الفشل ؟

فيليب : بشكل ما ••

خوليو : لست أرى أية علاقة ، فمع أنى فشلت ، لماذا أعمى ؟

فيليب : لأنك تشك فى نفسك • لكن الشك من الدلائل الطيبة ، فأعظم المبدعين قد عانوا أسوأ حالات الخمود وفقدان الحماس ، وطالما تمرست أنت بالشك منذ طفولتك • وكنت تقول لى وأنت تبكى أمام لوحاتى المائية الأكاديمية المهذبة : لن أرسم مثل هذا أبدا • وكنت أضحك أنا وأجيبك ان أحسن الرسامين ليسوا أكملهم ، فانك سترسم لوحات أفضل منها بكثير وها أنت ترسمها ! لكن أية نكسة تحملك من جديد على التشاؤم الأسود •• وشكك النبيل هذا •• آه، ليتنى أعانى شيئا منه بدل أن أزهو مثل الأطفال بلوحاتى المتأنقة ، لو حدث ذلك لأصبحت فنانا كبيرا • (ينحنى ويجلس قرب خوليو) أنت أعظم منى بكثير ، وعيناك يجب أن تفتحا من جديد ، ان نجاحى المضحك لا يساوى شيئا أمام فشلك المزعوم •

خوليو (يعقد ذراعيه باسما) هيا نرى ان كنت قد فهمت ، أتريد أن تقول ، أنت والطبيب النفسى،

أن الحسد لمعرضك هو الذى جعلنى أصاب بالعمى ؟

فيليب : (متلعثما) يجب أن تتكلم معه ، أنا لا أحسن التعبير عن الفكرة ، فقد تحدث بصفة خاصة عن شكوكك .. الفنية ، وعن الصدمة التى تسبب فيها فشلك

خوليو : لكننى لم أصب بالعمى نتيجة للنقد الجارح ولا لصالة العرض الفارغة من الزوار ، بل بعد هذا بكثير ، وكنت قد أرسلت لى تروى أخبار نجاحك

فيليب : ما كان ينبغى لى أن أرسل لك مثل هذا الخطاب المفعم بالزهو والغباء

خوليو : (يضحك فى صمت) لم يكن مفعما بالزهو ، كان متواضعا وبسيطا .

فيليب : لا تقل انك قد عميت بعد قراءته

خوليو : فى اليوم التالى

فيليب (حسنا) مادمت أنت نفسك تصرح بهـذا ..
(ينفجر خوليو فى الضحك دون أن يسـيطر على نفسه)

لكن هو الشك ، خاصة الشك فى نفسك هو الذى ..

(يستمر خوليو فى الضـحك وينهض ويذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو يقهقه)

خوليو : ياله من طب نفسى مريح لكم ، لا توجد أية خطورة ، أزمة حساسية ترجع الى موهبةالشاب وشكوكه كفنان مبدع ، بالاضافة الى شىء من حسده لأبيه أيضا ، مما لا يطعن كرامته ، كـل هذا يبدو أنيقا جدا وتحليليا جدا ... ولو فهم الشاب ذلك فسيلتحم بالحياة من جديد (يلتفت تجاه أبيه) وربما أصبح شخصا مرحا .. من شخصيات اللوحات المائية (يقترب منه) خلال هذه الأيام الثمانية لم أكن قد قررت التحدث معك (يعبر المكان ناحية البار ويتكىء عليه) والآن عليك أن تسمعنى يا أبى . (خلال هذه

الكلمات تنفتح فى المستوى الأول من المسرح ـ أمام المنضدة ـ فجوة فارغة مظلمة ذات شكل مستطيل ، وبعد قليـــل تسلط عليها أضواء بنفسجية باهتة)

فيليب : أنا لا أرغب فى شىء آخر

خوليو : كنت الها بالنسبة لى ، كنت أشعر وأنا طفل بنوع من العصمة مادمت فى يديك • أريتنى الدنيا وأعدت خلقها أمام عينى ، وجعلتنى أراها خيرة جميلة •• ثم كبرت ••

فيليب : وصغرت أنا (خوليو يهز رأسه بالايجاب) لا ينبغى تأليه الآباء •• كل الأولاد يعـــانون من خيبة الأمل هذه ، فهى بداية النضج ، أفضل أن تعتقد بأننى مخلوق بشرى ، له عيوبه الصغيرة، مثله فى ذلك مثل العالم نفسه •

خوليو : مثل العالم نفسه ؟

فيليب : ورأيت أيضا أنه ليس خيرا ، لكنه ليس بمثـــل هذا الشر الضارى الذى تصفه به ، فالانســـان

يزداد علما وقدرة كل يوم ، وسعادتنا فى هذه الجزيرة ليست الا فتح من فتوح الانسان ، وهناك أماكن كثيرة مثلها .

خوليو : لكنك تعرف أن هذا ليس صحيحا .

فيليب : بل أومن به ايمانا راسخا

خوليو : أنت تعرف أن هناك جوعا وبؤسا واشعاعات قاتلة ، وأن الأرض ملوثة وأننا صائرون الى كارثة عامة .

فيليب : لقد سمعت منك كل هذا من قبل ، وقد خصصت أموال طائلة لدراسة هذه المشاكل وسوف يضعون لها الحلول

خوليو : لم يخصص لهذا أبدا ما هو ضرورى ، لأن هناك أموالا أخرى كثيرة خصصت للأسلحة وبها تنطبق المصيدة ، ولو دام السلام تسمم البحر والهواء والغذاء ، ولو لم يدم فان آلاف القنابل الذرية ستخرج من مخازنها وتحيلنا الى جمرات .

فيليب : لن تخرج ، فهناك ما يكفى ويزيد لتدمير خمسة كواكب مثل الأرض

خوليو : وهل هذا ضمان ؟

فيليب : ليس هناك من يجن لدرجة أن يبدأ كارثة وهو يعرف أنه أيضا سوف يقع فيها

خوليو : لكن هناك مجانين •• والخوف يزيد منهم ، وهناك أيضا حوادث ، فمن حين لآخر ينفجر مخزن ذخيرة •• وليست الأرض الآن الا مخزن ذخيرة هائل

(يبدأ كوكب الزينة المعلق فى الدوران البطىء)

فيليب : (بعزم) كما أن الاحتياطات هائلة ، وسوف يتفادون هذا الخطر ، ولن تكون هناك الا حروب محلية محدودة •• وليس هنا احداها

خوليو : لأنها كانت من قبل ، وسلامك الآن ليس الا مصطنعا ، فالحرب تتربص بنا ونحن دائما معرضون لأن تنفجر من تحت أقدامنا، وقد قمت أنت بالحرب يا أبى • أنت حرب

فيليب : (ينهض ويتجول فى الحجرة) لا • اضطررت

للاشتراك فيها ، لكننى كنت أعشق السلام وعندما استطعت بحثت عنه ، هنا ، كى أعطيه لأولادى الذين كنت أريد انجابهم • ونسيت هذه الفظائع ، تجنست هنا وتزوجت وساعدت فى بناء الرخاء •• وجدت السلام وهأنذا أقدمه اليك ، فاقبل ما يحيط بك ما دمت قد حظيت بنعمة التمتع به ، وثق فيه ، فالسلام يخلق سلاما آخر • كانت هنا حرب ، هذا صحيح ، دمر حى كامل من المدينة ، ثم ماذا ؟ انه الآن أجمل حدائق الجزيرة كلها •

(يتوقف تحت الكوكب المعلق الذى يدور بسرعة ، وفى ضوء الفجوة الخافت فى المستوى الأول من المسرح يرتفع طيف رجل قد تعرى نصفه الأعلى ولا نكاد الآن نميزه بوضوح ، يظهر رأسه وكتفاه ببطء •• ثم يظل ما ظهر منه مواجها للمشاهدين منتصبا وثابتا لا يريم، ينظر اليه خوليو لبضع لحظات)

خوليو : (وهو يهـــم بالجلوس) هل كنت ضابطا فى الحرب العالمية برتبة ملازم

فيليب : أجل

خوليو : وفى نهايتها رقيت الى نقيب

فيليب : وما أهمية هذا ؟

خوليو : نقيب فى جهاز المخابرات

فيليب : بالفعل ، ولا أتذكر أننى قلت لك ذلك

خوليو : وكنت فى « ويزلس » • (صمت) أليس كذلك؟

فيليب : ذهبت الى أماكن كثيرة ،•• « ويزلس » ؟

خوليو : ألا تذكر هذه المدينة ؟

فيليب : كنت فيها •• نعم ، هل حكيت لك هذا مرة ؟

خوليو : أنت لم تحك لى

(يقترب فيليب من المقاعد)

فيليب : من اذن ؟

خوليو : شاب فى باريس

فيليب : شـــاب ؟

خوليو : شاب موسيقى من « ويزلس » عنـــده موهبة كبيرة ، وصحة عليلة ، وقد ورثهما عن أبيـه (يبدأ الرجل المنتصب فى الفجوة الأرضية يطفو ببطء ويتزايد عليه الضـوء ، ويلاحظ أن عينيه اللتين لا تطرفان أبدا ليس فيهما سواد)

فيليب : ياله من توافق غريب ..

خوليو : هذا نفس ما فكرت فيه

فيليب : (يجلس باسما) لكن ، ما دام من سنك ، كيف يمكن أن يعرفنى ؟

خوليو : ذات يوم صرح لى بأنه فى بداية الأمر تعمد عقد أواصر الصداقة معى لأن لقبى أثار انتباهه .. لقبك ، ولما زارنى للمرة الأولى رأى صـورتك على منضدتى فتعرف عليك حينئذ ..

(يطفو الرجل شبه العريان الى أعلى أكثر ، يمكننا الآن أن نميزه ، فهو نحيف هزيل ، لـم يمشط شعره ولم يحلق ذقنه منذ أيام ، دائرة سوداء حول عينيه يبدو جذعه وذراعاه ووجهه

وقد غطيت جميعها بما لا يحصى من الأخـاديد والقروح التى تنساب منها خيوط الدم المنسابة المتخثرة)

فيليب : على ؟

خوليو : كان أبوه قد وجد النشرة الحربية التى جـاءت فيها صورتك وأخبار ترقيتك فاحتفظ بها ، وقد رأيتها ، كنت ترتدى الملابس الرسمية ، وتبـدو فى الثلاثين من عمرك ، ومن تحتها كتب اسـمك ولقبك

(يتسلط ضوء قوى على كوكب الزينة المعـلق الذى يشع الآن ومضات مجنونة)

فيليب : ومن هو أبوه ؟

خوليو : كان .. تزوجت منه امرأة متفانية صابرة عنـد نهاية الحرب ، لكنه كان محطما ولم يلبث أن مات ، كان صديقى عمره عامان عنـدما أصبح يتيما ، وقد حكت أمه ومواطنـوه كل شىء (صمت قصير) كل ما صنعته أنت فيه . *

فيليب : (يتهدج صوته) ماذا ؟

(يقع الضوء بشدة على الرجل ذى الجروح الذى يظهر الآن بكامل جسمه وفى نفس الوقت يتلاشى ضوء الفجوة)

خوليو : لا تنزعج ، ليس من السهل الآن جمع الأدلة ضدك ، وصديقى يرى أن الانتقام لا فائدة منه •• (ينهض ويأخذ فى التجول فى الحجرة مضطربا) مثل كثيرين آخرين ، يفضل أن يبصق عليكم ويتقدم الى الأمام •• غير أنه ••• لا يستطيع أن يفعل ذلك •• وقد باح لى بكل شىء كى ينفس عن حقده على ، وبعد ذلك بكينا معا على أبيه ، ثم وضعت أمامى تلك النشرة•• وأخذت أبكى أيضا عليك (يبكى) لا هو •• ولا أنا ، استطعنا أن نتجاوز الموقف أو نتسامى عليه ، وانتهت صداقتنا •• (يتأمل طيف المعذب ويقترب من أبيه) كيف عذبته يا أبى ؟ أولا بالتيار الكهربائى ؟ ثم بالسوط بعد ذلك؟

خلعت أظافره ؟ ربما لا تتذكر ، فقد فعلت من هذا الكثير

فيليب : (بصعوبة) أنا .. لم أمس أحدا

خوليو : بالطبع ، قام بهذا آخرون تحت أوامرك ، فأنت العقل المدبر

(يمشى بعصبية)

فيليب : لم يكن الأمر مثلما تتصور .. يبالغون

خوليو : (ببرود) بالتأكيد ، أنا أتصوره مغطى بالدماء، لكن ربما لم يكن هناك دم . كهرباء فقط ، أو حمامات ثلج ، أو سياط بفوط مبلولة ..

فيليب : دعنى أشرح لك .

خوليو : ستنكر ؟ قل ، صديقى مخدوع ، أبوه خلط بينك وبين شخص آخر .. أتزعم هذا ؟

فيليب : (ينكس رأسه) كنت أؤدى واجبى

خوليو (بتهكم لاذع) واجبك ؟

فيليب : كانت المقاومة تخرب المدينة .. يغتالون جنودنا

كل يوم طعنا فى ظهورهم يضعون قنابل فى المعسكرات والقطارات ، ويذبحون ضباطنا .. تلقينا معلومات سرية تفيد بأنهم يعدون لعملية بالغة الخطورة .. ستكلفنا حياة الكثيرين .. واضطررنا أن نقسو على من أمسكنا بهم ممن لهم صلة بالعملية كى نرغمهم على الاعتراف . كان شيئا فظيعا ، أعرف هذا .. لكن .. أرجوك أن تفهم . كان يجب انقاذ الآلاف من جنودنا

خوليو : كى يظلوا هم الآخرون بدورهم يقتلون ويهتكون الأعراض ويعذبون الناس

فيليب : كان أعداؤنا أيضا يقومون بعمليات التعذيب

خوليو : الحرب ..

فيليب : (يهز رأسه بالايجاب مكتئبا) منذ أعوام بعيدة .. الحرب تجعلنا جميعا مختلفين جدا ، وكانت ستجعلك أنت مختلفا عن ذلك أيضا لو اشتركت فيها ، انسها يا بنى ، ونرجو أن لا تعود أبدا ، أنا أصبحت رجلا آخر .

خوليو : انها لم تنته أبدا ، فى هـذه اللحظة نفسها ، رجال بوليس آخرون بملابسهم الرسمية مثلك، يطحنون الناس ، ضباط آخرون لامعون ، أو مدنيون باسمين مهذبين ، يدمرون سـجناءهم أحياء ، هؤلاء هم أبناؤك الحقيقيون ، الوحوش ما زالت طليقة ، وأنت لست وحشا فى فتـرة الراحة ، لكن الحرب لم تتركك .

(طيف الرجل المعذب يلتفت نحو فيليب ويخطو اليه بحذر وخفة حتى يقف بجانبه)

اذا لم تكن تريد أن تتذكر هذه الضحية فأنـا أراها بجانبك ، فى هذا الظلام الذى تقفز فيـه الأشباح على ، هذا الرجل يقف بجوارك ، مغطى بالدماء .. دائما .. وعيناه بدون نور

فيليب : (يرفع رأسه) ماذا ؟

خوليو : حطمت عصبا فيه .. أو من يعـرف ؟ حطمت نفسه . فقد فقد بصره بعـد عام ومات أعمى

(صمت) تفصيلات صغيرة ، ابنه كشف لى عنها قبل أن أتلقى خطابك بثلاثة أيام، وفى اليوم التالى على تلقيه .. غام بصرى .. (يبتعد عنه) أنت الذى أصبتنى بالعمى ، عد الى طبيبك النفسى وقل له : كنت آلها أمام ابنى مثل كل الآباء ، لكنه اكتشف أننى نمر متوحش يرسم لوحات مائية حلوة . أتمتع بصحة جيدة .. أجل .. الصحة الجيدة هى أن تعذب الآخرين وترسم . وطبيبك النفسى سيؤكد لك هذا : فأنت تدفع له من أجل ذلك ، وقل له أيضا اننى مثل كل الآباء ، أردت أن يكون ابنى الها، وهذا الآله لم يصبح أعمى من الحسد والغيرة بل الفظاعة ، وأنا الذى جعلته يعمى .

(ينتزع فيليب نظارته ببطء وينظر الى ابنه بفزع) وقل له أكثر من ذلك .. لقد جعلته يعمى ليبصر أكثر ، لأنه يرى بجانبى هذا الرجل المخضب بدمه الذى لا أريد أنا رؤيته .. يراه .. تماما هل تجرؤ على أن تقول له كل ذلك (تتشنج

يدا الرجل المعذب وقد مدهما متلاصقين ليمسك بخناق فيليب ونظرات عينيه البيضاوين بدون أحداق ذاهلة دائما • فيليب يحملق فى خوليو ، ويدور كوكب الزينة المعلق بشدة وعصبية)

فيليب : ابنى ••

(يطبق الرجل المعذب على عنقه ، فيليب جاحظ العينين يلهث من الضغط ويمد ذراعيه المرتجفتين الى ابنه، يرتسم على ملامح خوليو عبوس يقطر مرارة ، يخرج نظارته السوداء من جيبه ويضعها ببطء على عينيه وعندما يلبسها يبدأ الضـــوء فى التلاشى حتى يصل الى الظلمة المطلقة • يسمع هدير الأمواج الهادىء)

ســـتار

الفصل الثاني

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

(فى نفس المكان ؛ وفى ضوء الصباح الذى تتراءى فيه ألوان قوس قزح ، ارتمى فيليب على المقعد ذى المساند العالية بجوار المدفأة واخذ يشرب رشفات بطيئة من كوب فى يده ، وبالرغم من انه لايزال يحتفظ ببشرته التى لوحتها الشمس الا انه يبدو وقد فقد جزءا من حيويته ، وخلال بعض اللحظات يبعث البحر القريب بأغنيته ونسيمه ، تدخل بيرونكا عبر الستارة مرتدية لباس البحر و « بلوزة » وخفا ، وبدون ان تلاحظ وجود الرجل المختفى فى المقعد العالى تتجه الى الحائط الزجاجى كى تنظر بحذر نحو الشاطىء ، يدير فيليب رأسه فيراها ويجرع شرابه بصوت مرتفع ثم يضع الكوب على الأرض بضربة جافة ؛ تنظر اليه بدهشة) .

بيرونكا : معذرة ، لم أكن أريد مضايقتك . (تهم بالخروج)

فيليب : من فضلك لا تذهبى (تتوقف بيرونكا وتنتظر فى صمت) هل لك فى الجلوس ؟

بيرونكا : هل ترغب فى الحديث معى ؟

فيليب : (يلتقط الكوب وينهض) أرجوك
(تنظر بيرونكا ناحية الشاطىء وتسير نحو أحد المقاعد حيث تجلس ، يشكرها بايماءة من رأسه ويتجه ناحية البار) أصب لك شيئا ؟

بيرونكا : لا ، شكرا لسيادتك

فيليب : اسمحى لى اذن برجاء آخر ، لا داعى لسيادتك هذه (يتناول زجاجة ومضخة و « سيفون » ويملا كوبه مرة أخرى) أنا أحـــدثك بدون تكليف

بيرونكا : الوضع مختلف !

فيليب : لماذا ؟ كل الناس يتعاملون الآن بلا تكلف (ينظر اليها بحدة) هل يسوءك هذا لسبب ما ؟

بيرونكا : سيان عندى !

فيليب : اذن ، بدون سيادتك ؟

بيرونكا : (تهز كتفيها) حسنا

فيليب : (يتكىء على منضدة البار العالية ويشرب) لكن على مضض ، (تهم بالكلام) لا تقولى شيئا ، أخشى أن لا أكون لطيفا فى نظرك ، لا أظن أن بينك وبين ابنى أسرارا ؟

بيرونكا : من يدرى ؟ (صمت)

فيليب : هل سمعت شيئا عن مدينة تسمى « ويزلس »؟ (يتراشقان النظرات خلال لحظة)

بيرونكا : (بدون أن تغض بصرها) فى « ويزلس » ولد أحد أصدقائنا

فيليب : (باستهانة) تعرفين أننى كنت هناك قبل انتهاء الحرب العالمية بقليل ؟

بيرونكا : أعرف هذا ، لا داعى لأن تسأل سيادتك أكثر (صمت)

فيليب : (مرتبكا دون أن ينظر اليها) اتفقنا على عدم « سيادتك »

بيرونكا : (بابتسامة باردة) كما تحب ، عدم استعمال كلمة سيادتك لا يعنى شيئا بالنسبة لى ، لا محبة

ولا ثقة ، هل المحبة والثقة همـــا اللذان تبحث عنهما ؟

فيليب : أعتقد أنك تكرهيننى مثل ابنى

بيرونكا : أنا لا أكرهك

فيليب : تحتقريننى (صمت)

بيرونكا : (تهز كتفيها) ولا هذا • (ينظر اليها مقطب الجبين ويشرب رشفة ثم يخرج من خلف منضدة البار ويقترب ليتكىء على مسند الأريكة الخلفى) أظن أنه لا داعى للكلام أكثر من هذا • (تهم بالنهوض)

فيليب : (بجدية) لا أريد أن أحدثك عن نفسى ، بل عن خوليو ، لأنك تريدين مساعدته ••

بيرونكا : طبعا •

فيليب : اذن قولى لى رأيك ، أنا مستعد لأى شىء حتى يشفى ، منذ خمسة عشر يوما وأنتم معى هنـــا •• وفيما بينى وبينه قلنا كل شىء •• ومازال أعمى ، ماذا يمكن أن نفعل فى رأيك ؟

بيرونكا : يجب أن يرحل من هنا

فيليب : تريدين أن تقولى .. يبتعد عنى ؟

بيرونكا : تماما .. (يدور فيليب حول الأريكة ويجلس الى جانبها)

فيليب : اسمعى يا بيرونكا ، ابنى الأكبر تحدث الى تليفونيا من الجنوب ، ويجب على أن أسافر الى هناك خلال يومين ، هل يمكن أن أترك خوليو فى رعايتك ؟

بيرونكا : بالطبع

فيليب : الى الأبد ؟

بيرونكا : (تنظر اليه باهتمام) لست أفهم ما تعنى

فيليب : لو كنت توافقين فانى أذهب الى غير رجعة ، ولو اضطررت للعودة فى المستقبل سأحاول أن لا أراكم ، وسيحتاج خوليو لرعاية عظيمة ووسائل راحة كثيرة .. ربما احتاج أساتذة يعلمونه كيف يتكيف مع مرضه ، وأنت أفضل من يستطيع رعايته يا بيرونكا ، ابقى لادارة

هذا البيت ، معه ، دائما .. وهو أحسن مكان بالنسبة لكما ، سأترك لك المال اللازم وأودع حسابا باسمك . حسن هذا ؟

بيرونكا : لا .

فيليب : (مكروبا) اذن انصحيني ، ان كنت السبب فى عماه ماذا على أن أفعل ؟ ماذا يريد هـو ؟ (صمت قصير) لابد أنك تعرفين هذا يابيرونكا .. قولى لى ! (صمت قصير ، يخفض صوته) ربما يريد منى أن أعترف وأسلم نفسى الى المحاكمة ؟ وقد يكون معنى هذا بالنسـبة لى السجن مدى الحياة (تنظر اليه ساخرة) أنا مستعد لفعل ذلك لو كنت متأكدا من أنه يعيد له بصره ، أتظنين أن ذلك يعيد له الرؤية ؟

بيرونكا : لا أنا ولا أنت نعرف هذا ، أتخاطر بتسليم نفسك دون أن تكون متيقنا

فيليب : (بعد تأمل) أخاطر لو عرفت أنه يريد ذلك .

بيرونكا : (بدهشة) أيكفيك أنه يريد .. لكى تقدم على ذلك ؟

فيليب : نعـم ..

بيرونكا : ولو كان خوليو يجهل ماضيك .. أكنت تسلم نفسك ؟

فيليب : (متلعثما) .. لا ، لدى ابن آخر ، وأعمال تجارية ، واستقرار حصلت عليه بصـعوبة ، وصدقينى ، فى الحرب لم أكن من أسـوأ الناس ، فقد كان هناك الكثيرون ممن هم أشد قسوة منى

بيرونكا : بما فى ذلك بعض رؤساء الدول ، أعـرف هذا .

فيليب : والآن لا يستطيع أحد أن يصلح ما فعل .. لماذا كنت أسلم نفسى ان كان الكثيرون من أمثالى على قيد الحيـاة ولم يفعل أحـد منهم ذلك ؟

بيرونكا : (تنهض وتذرع الغرفة جيئة وذهابا) هل هو

سؤال ؟ (تبتسم) لا ، بالطبع ، بل هو تقرير حقيقة (صمت)

فيليب : لكن .. لو كان هو يرغب فى ذلك ..

بيرونكا : (ببرود) ربما كان يرغب ، لكن لا أظن أنه هكذا يستعيد بصره ..

فيليب : (ينكس رأسه) تعرفين جيدا أنه يمقتنى

بيرونكا : لا يهم ، (تقترب من الحائط الزجاجى وتتطلع ناحية الشاطىء)

فيليب : (حائرا) تحسبين أننى أستطيع أن أفعل شيئا آخر ؟

بيرونكا : (وهى تنظر الى الخارج) لقد نهضا

فيليب : من هما ؟

بيرونكا : ألم تكن تعرف أنهما على الشاطىء

فيليب : خوليو ونوريا ؟

بيرونكا : نوريا تحبه (ينظر فيليب اليها حائرا ثم ينهض ويذهب الى جانبها لينظر الى الخارج

بينما ترمقه بسخرية) يا لها من متناقضات ..
هـه ؟
ولكى تبعد نوريا عنـــه لابد من مصارحتها بالحقيقة .. يأتون الى هنا

فيليب : (مرتبكا) أية حقيقة ؟

بيرونكا : أنها بنتك

فيليب : أو قال لك هذا ؟

بيرونكا : أليس صحيحا ؟ اذن ربما راق لك هـــذا الغرام ، ويمكن أن يمثل فى المستقبل ارتباطا عائليا نافعا تستعيدون به خوليو نهائيا الى عالمكم

فيليب : (بجفاف) لن يحـدث مثل هـذا الارتبـاط العـائلى

بيرونكا : (بدون أن تنظر اليه) ربما ، لكن سأقدم لك نصيحة ، لا تعارض نوريا ولا تضع الصعوبات فى لقائها به .. فهذا يجعل الأمر أسوأ .

(تحل الظلمة على المسرح ما عدا كشافا يسلط ضوءه على نوريا عندما تبدأ الكلام ، وقـد

بدا جسمها المراهق الرقيق لا يكاد يغطيه لباس البحر ذو القطعتين وصدرية شفافة • رأسها بدون قناع)

نوريا : أهلا ، كل ما كان يحكيه لى خوليو يبدو ساحرا فأتنا

بيرونكا : (يسلط عليها كشاف فتبدو زرقاء اللون تحملق فى الفراغ وتصطنع الوقار) ماذا كان يحكى لك ؟

نوريا : كان يحدثنى عن اللوحات الانطباعية التى تعرض فى متحف « جى دى باومى » يصفها حتى كأننى أراها !

خوليو : من هنا أكثر ؟

(يتسلط كشاف ضوء على وجهه فيجعل نظارته تلمع ، يبدو وقد عقد أحد ذراعيه فى ذراع نوريا وأمسك عصاه باليد الأخرى)

فيليب : أنا يا بنى (يبدو وجهه كأنه شبح وقد ارتدى النظارة السوداء • يزداد الضوء الخيالى على

الجميع ، يقترب فيليب من بيرونكا ويمسك بيدها) احك لنا ذلك أيضا ، اشربوا أى شىء!

نوريا : لا نستطيع الآن ، علينا بعض الشواغل قبل أن تأتى صديقاتى

(تجر خوليو)

بيرونكا : ما هى هذه الشواغل ، هل يمكن أن نعرف ؟

نوريا : انها أشياء خاصة بنا ، تجارب يقوم بها خوليو لتحديد أماكن الأشياء بمساعدتى ..

بيرونكا : آه ..

(طيفها يتناول يد فيليب الأخرى ويزداد التصاقا به بينما هو ينظر فى عينيها)

نوريا : هيا بنا يا خوليو

خوليو : (وكأنه يرغب فى البقاء) هيا .

فيليب : لماذا لا تتركان هذا لوقت آخر وتظلان معنا قليلا ؟

(ينظر فيليب الى بيرونكا نظرات استنكار وأيديهما متشابكة أمام خوليو)

نوريا : (وقد أصبحت قرب الستارة) الآن لا يمكن، سنعود بسرعة .

(تشد خوليو الذى يدير رأسه ناحية الاثنين اللذين يتخيلهما ، يعم الظلام كل المسرح ماعدا الضوء المسلط على وجهه) خوليو !

(ينطفىء الضوء المسلط على رأس خوليو أيضا ويعم الظلام لحظة ثم يعود نور النهار ، نوريا وخوليو قد خرجا ، يبدو فيليب مرة أخرى بدون نظارة ، ينظر هو وبيرونكا الى الستارة لكنهما بعيدان عن بعضهما)

فيليب : يجب تفادى ذلك

بيرونكا : لأنهم اخوة

فيليب : أنا لم أقل هذا ، لكن لا أريدهما متزوجين

بيرونكا : وان كانا يريدان هذا يوما ..

فيليب : خوليو لا يمكن أن يريد هذا .

بيرونكا : هل أنت واثق ؟ سيكون عليك أن تصمت ، أما هو فسيسخر من مجتمعكم فى نفس الوقت

الذى يترك نفسه يقع فى أحابيله ، سيكون هذا هو انتقامه السرى ، أب قام بتعذيب الناس يستحق أن يزنى أولاده ببعضهم .

فيليب : (شاحبا) لا تسخرى

بيرونكا : أنا لا أسخر

فيليب : انه يحبك أنت ..

بيرونكا : أنا أكبر منه بعشر سنوات ، ولن أكون الأخيرة فى حياته ..

فيليب : ان ما تتصورينه شنيع

بيرونكا : أأنت الذى تتحدث عن الشناعات ؟ (تذهب ناحية الستارة)

فيليب : (بعد هنيهة بصوت خافت) انها طفلة صغيرة ، وهى بالنسبة له مثل الدمية ، وسينتهى كل هذا عندما يشفى

بيرونكا : هذا لو شفى (تسترق النظر من خلف الستارة)

فيليب : لا أدرى ماذا أفعل ! (يأتى الى المستوى الأول

من المسرح ويجلس على مقعد) كنت ساذجا عندما عرضت عليه تفسير الطبيب النفسى لسبب عماه ، أظن أنه قال لك ..

(تلتفت وهى مشغولة وتجيب)

بيرونكا : نعم ، (تستمر فى النظر باهتمام كبير)

فيليب : (يبتسم فى أسى ويتنهد) عندئذ حدثنى عن صديقكم ، لكن لو لم تكن هناك وسيلة لمحو ما حدث فليست هناك وسيلة لشفاء ابنى ..

(تتقدم بيرونكا نحوه خطوة كأنها تريد أن تسأله عن شىء ولكنها تتراجع) ولن أطيق أنا ذلك .

بيرونكا : (وهى تمشى فى الحجرة) لست واثقة .. من أن هذا هو السبب

فيليب : (ينهض وقد أنعشه الأمل) أتظنين أن الطبيب النفسى .. قد أصاب فى رأيه ؟

(بمذلة) أم تقولين هذا لمواساتى ؟

بيرونكا : (ساخرة) لمواساتك ؟

فيليب : (يذهب نحوها) قولى لى ماذا تعتقدين أنت •• امنحينى قليلا من الضوء ••

بيرونكا : (بعزم) أنا لا أستطيع أن أوضح لك شيئا •• لا •• حتى الآن

فيليب : (يقترب منها بسرعة ويمسك بذراعيها) بيرونكا •• من فضلك كونى صريحة معى ••

بيرونكا : لا تلمسنى •

فيليب : (يتركها بتأثر) معذرة !
(يذهب الى المنضدة الصغيرة ويشعل سيجارة بينما تعود هى للنظر عبر الستارة) نسيت أن ملمسى مقزز ، لم أعد أجرؤ حتى على أن أمد يدى لابنى ! (ينظر اليها) لكن •• أنتم قساة لأنه يجب أن تعترفوا لى ببعض الفضائل لقد كنت أبا طيبا ومواطنا صالحا ، رفاهية هذه الجزر يعود الفضل فيها الى الى حد كبير •• تعمير هذه الشواطىء بدأته مع شركائى ، كونا ثروات واستقرارا ورخاء للكثيرين ••

بيرونكا : ومصانع

فيليب : ومصـــانع ، لم يعد هنا الآن فقراء

بيرونكا : يا لكم من مؤثرين ، بمثل هذا التفانى ونكران الذات أصبحتم أنتم الفقراء .

فيليب : تكوين الثروة ليس جريمة، وهو أمر حميد حتى من أجلكم ، فلا أنت ولا ابنى كان من الممكن أن تعيشا ها هنا لو لم أكن أنا غنيا .. (يدخن بعصبية) ولا فى باريس ، حيث لم أبخـل على خوليو يوما بحوالاتى المصرفية .

بيرونكا : (تقترب منه) التى انتفعت بها أنا أيضا ، أليس كذلك ؟

فيليب : هذا ليس لوما

بيرونكا : (ببرود) لا . أنت لا يمكن أن تلوم عـلى شىء ، على الأقل تفرض على التغنى بفضائلك المضحكة ، أنت ومن معك قد أعماكم المال ، حتى أعمق مشاعركم تقيسونها بالحوالات المصرفية، المال هو الذى سوف يرديكم فى الهـــاوية

(ساخرة) خلقتم الرفاهية .. نعم ، والألم فى نفس الوقت .. أغنيتم البلد ، وسرقتم عملاتها الصعبة وهربتموها للخـارج ..

فيليب : أنا لم أفعل ذلك .

بيرونكا : عجيب ! .. ستفعله ، فمن هم على شاكلتك دائما يفعلون هذا . وفى تلك الأثناء تربحون الملايين من اقامة المستعمرات على الشواطىء . أمتع الحمامات فى متناول كل الجيوب ، مادام هناك شىء فى هذه الجيوب طبعا ، وفى نفس الوقت ترمون فى البحر بكل رواسب صناعاتكم .. لأن ابادتها تكلف كثيرا ولا تدر ربحا ..

فيليب : هناك مصانع مطهرة تحت الدراسـة لمنع التلوث

بيرونكا : نعم ، تدرس فى كل العالم منـذ سنوات ، وستظل مجـرد مشروعات بينما يتسـاقط المستحمون الذين تعيشون من ورائهم فريسـة

للأمراض ، وأنتم أنفسكم تتساقطون .. أنتم مجانين

فيليب : (يجلس ويشرب مضطربا) نفس اللغة التى يستخدمها ابنى ..

بيرونكا : انها لغتى ، أنا التى أعلمها له ، وهو تلميذ ممتاز (تبتسم) أنا أكبره بعشر سنوات ، لا تنسى هذا .. أنا .. أمه الصغيرة تقريبا ، هكذا ينادينى هو عندما يمل من تسميتى ببنته.

فيليب : وأنا أبوه ، ولو كان هذا لا يعجبك ، يجمعنا العطف عليه .

(ينظر اليها بتعاطف) شكرا .. لأنك حليفتى !

بيرونكا : (بحدة) حليفتك ؟ (تقترب منه) من العدل أن تعرف حياتى مادمت أنا قد أصبحت على علم بتفاصيل حياتك (تتجول فى الحجرة) كان أبى مثلك ، رجلا محترما .. رقيقا ، وكانت أمى خادمة ، فأغراها برقة زائدة ، وكان متزوجا وعلى علاقة طيبة بزوجته ، فمرضت من الحزن

•• ولكى لا يجرح شعورها أكثر لم يعترف بى (تضحك) لكنه ساعد أمى وأنفق على فى الدراسة ، كان رجلا له اعتباره ومقابل ماله أراد أن يحصل على امتنانى وحبى •• (بسخرية) فلم أعطهما له •• ها أنت ترى أننى شريرة ، كما أننى أيضا لم أعطهما لابنك مقابل أمواله • ستدهش لو عرفت ماذا كنا نفعل فى باريس بنقودك ، كنا نعطيها للناس ونعيش من مرتبى !

فيليب : هذا لا يمكن •

بيرونكا : بل ممكن ، كل ما فى الأمر هو أنك لا تستطيع أن تفهمه ، منذ سنوات وأنا لا أعرف شيئا عن أمى ، كانت هى أيضا تريد منى أن أعترف بفضل أبى ، ولا تفتأ تثنى على حوالاته المصرفية الطيبة ، فقطعت علاقتى بها ، ليمكن لواحدة منا على الأقل أن تنقذ نفسها من هذا الهوان •• علموها أن تكون أمة مستعبدة •• ولم يصبح هذا ممكنا • علمتموها أنتم أيها السادة •• أعرف أننى درست بفضل أموالكم ••

فيليب : أموالنا ؟

بيرونكا : هى نفسها •• أموال حوالاتكم المصرفية ، ومن باريس كنت أردها الى أبى ، حتى كف هو عن ارسالها، نعم، بالرغم منى كنت محظوظة أنا الأخرى ، فحاولت تعويض هذا ، رحلت كى أعيش لحسابى الخاص ، غنيت ورقصت وصنعت العقود •• بينما كنت أدرس (صمت قصير) لا يوجد تحالف بينى وبينك ، سأحاول أن أشفى خوليو ، لكن بطريقتى الخاصة • ويجب أن نرحل من هنا نحن الاثنان بأسرع وقت ، ولو لم يرد هو فسأذهب وحدى •• لأنه لو فضل البقاء هنا فقد انتهى الى الضياع ولن أستطيع انقاذه •• لا ، لا تظن أننى أشير الى لعبته مع أخته • أنت الذى تجعله يبقى مريضا وأحسن شىء هو ابعاده عنك (صمت)

فيليب : (ينهض) سيحتاج الى رعاية ••

بيرونكا : سأرعاه •

فيليب : لو عدت الى عملك فلن تستطيعى ، أنتما هنا أحسن ..

بيرونكا : (ضحكة خفيفة) لم تعد تزعجك فكرة أن يرتبطا بالزواج يوما ؟

فيليب : (يتجول) ليست هناك خطورة لبضعة أعوام ، ابقى هنا الآن لمصلحة خوليو ، سأذهب أنا .

بيرونكا : هناك أخطار أخرى كثيرة هنا ، ولا بد لنا من أن نعيش .

(تقطب حاجبيها وتجلس على الأريكة) .

فيليب : (يقترب وينحنى عليها عبر المسند الخلفى للأريكة) من أجل الثورة ؟

(ترفع بيرونكا رأسها ويتبادلان نظرة) أنا فهمتك .. لا تنكرى أنك ثورية من الدرجة الأولى .. ربما من القائمين بنشاط كبير ..

بيرونكا : وفيم يهمك هذا ؟

فيليب : يهمنى لأن ثوراتكم هذه تنتهى دائما بالرقص

الهستيرى .. والمخدرات .. وحتى بالجريمة المجانية .

بيرونكا : بالجريمة المجانية التى تثير الاشمئزاز ، أما جريمتك فلأنها لم تكن مجانية فقد أخذت عنها ترقية ، آسفة لأنى خيبت ظنك ، فلا أتناول المخدرات ولن أقتل أحدا ، فمازلت أفضل منك .

فيليب (ينتصب وقد احمر وجهه) ثورتك أيضا تقوم بتعذيب الناس عندما تحارب أو تمارس السلطة .

بيرونكا : (مفكرة ببرود) هذه ليست ثورتى ، ثورتى ستوقظ كل عظمة الانسان أو لن تكون ، وقد يكون عليها أن تفعل ذلك ان أرادت منعكم من أن تقوموا أنتم بالقضاء على هذا الكوكب .

فيليب : (متمتما بضيق) خيالات ، عبارات جاهزة تقليدية .

(يذهب الى البار ويمسك بزجاجة يملأ منها كوبه بارهاق ، يسمع صوت هدير الموج ، يعم الظلام بسرعة شديدة ثم لا يلبث أن يخف فى

الحال لبؤرة ضوء تنير وجه خوليو الذى دخل عبر الستارة ، ووقفت فى الظل من خلفه نوريا ، تبدو بيرونكا وقد تمددت على الأريكة وفرجت ركبتيها قليلا واسترخت فى حالة تشبه ما يعقب فعل الحب ، أضواء غريبة تداعب المسرح ، تبدو الجدران وقد شفت عن شقوقها ، يمد خوليو رأسه فى حركة أعمى عابس الوجه تجاه اليمين واليسار) .

نوريا : لم ننته من التمرين .

خوليو : أنا متعب .

(يتحسس بعصاه ويمضى بسرعة نحو الأريكة حيث يتلمس ما عليها ، تنكمش بيرونكا بطريقة تشبه القطط ناحية يسار الأريكة دون أن تتمكن يد الرجل من لمسها ، عندئذ يدور خوليو حول الأريكة ويجلس فى وسطها ، تظل بيرونكا الى جانبها جالسة لا تحرك ساكنا وهى تنظر الى فيليب) .

فيليب : (يحاول التظرف) مازال البار مفتوحا .

خوليو : لا • شكرا •

فيليب : (بحزن) أما أنا فنعم •

نوريا : (وهى تتقدم الى الأمام) خوليو ، هل تعرف كيف ترسم لوحة مائية تبدو فيها السماء متصلة بلا نتوء ؟ ، الألوان تنتهى منى دائما •

خوليو : اسألى أبى فى هذا ، فهو يعرف كيف يفعل ذلك •

نوريا : لكن لا يريد أن يعلمنى ، يقول ان هذا سر المهنة، أنتما الاثنان أنانيان •

فيليب : كنت أمزح معك ، سأعلمك هذا عندما تريدين •

نوريا : (تقترب من البار) الآن •

فيليب : اسمع ياخوليو ، أخوك حدثنى تليفونيا ، يجب على بعد غد أن أذهب الى الجنوب ، كى أتفاوض مع المالك القديم لمحل التحف الأثرية ••• وربما أتأخر فى العودة •• (يذهب ليجلس قرب ابنه • تخرج نوريا من منضدة البار بعض فرش الرسم وتتكىء على حافة مقعده ومن حين لآخر

تضرب فيليب بالفرشاة فيصدها برقة) أتفضل العودة لباريس ؟

نوريا : لا •

خوليو : ألم تعد تنتظر أن أشفى ؟

فيليب : لا أريد الا أن تفعل ما تحب •

خوليو : وأنت أيضا تعودين يا بيرونكا ؟

بيرونكا : (منكرة) تعرف أنه بالطبع نعم •

خوليو : (لأبيه) لا أعرف ان كنت قد فهمتك ، هل أضايقك ؟

فيليب : (بحزن) فعلا ، لا تفهمني •

خوليو : وأنت •• ماذا تفضل ؟

فيليب : أن تبقى •• الآن ، فأنت بحاجة لمزيد من الاستجمام •

خوليو : (بعد لحظة) سأبقى •

نوريا : حتى تستعيد صحتك •

فيليب : حسنا ، سنتحدث بعد عودتي عما اذا كنت تقرر الرحيل •

نوريا : أوه ، لا تتكلموا أكثر من ذلك ، والآن بوسعك أن تشرح لى كيف ترسم ألوان السحاب ياعمى (تضع له فرشاة فى يده) .

فيليب : (ينهض) السر هو أن تبللى الورقة أولا بقطعة « اسفنج » .

(يبرز الرجل المعذب من وراء منضدة البار العالية وقد رفع رأسه فى الفضاء فبدت أولا قرنيته اللبنية ، تهرع نوريا لتقف على يمينه وفيليب على يساره ويسلط عليهم كشاف ضوء قوى ينير ثلاثتهم) ثم ترسمين بسرعة ونعومة .. فيبقى اللون الأزرق صافيا ، بدون بقع . (يبدأ فى المرور بفرشاته على الخطوط الدموية فى جسم الرجل المعذب كما لو كان سيعيد رسمها ، ويستمر فى مهمته بحركات متصنعة متأنقة دقيقة مثل رسامى اللوحات المائية) . أو الأحمر الجميل ان كنت ترسمين الشفق (خوليو لا يعرف ان كان يضحك أم يفزع) .

نوريا : أريد الآن تجربته .

(تشرع بنشاط وهمة فى المرور بفرشاتها هى الأخرى على خيوط الدم) •

فيليب : سترين أنه سهل جدا (يرسمان معا) لكن •• مادمت أتذكر الآن •• (يتوقف ، صورة الطيف المعذب تظلم رويدا رويدا وهى تهبط ببطء حتى تختفى) •

عندى لك مفاجأة •

نوريا : ما هى ؟

فيليب : (يعطيها الفرشاة) سأعود فى الحال •

(يمضى الى خلفية المسرح ، يبدو خوليو مكروبا ، يخرج أبوه عبر الستارة) •

نوريا : ماذا سيكون ؟ •• شىء رائع بالتأكيد •• ما أطيب عمى هذا !

(تترك الفرش خلف منضدة البار) ولو سافر فلا تقلق ، لن تبقى وحدك سآتى كل يوم فقد تحتاج الى شىء • (تجلس بجوار خوليو ، تبدو هى وبيرونكا وهما ينظران الى الأمام كأنهما

تمثالان صخريان) .. ولكى أدخل الفرحة على قلبك أيها الحزين .. أنت دائما حزين !

بيرونكا : حتى لو ذهب أبوه فلن يبقى وحده .

نوريا : (برقة) أنت أيضا حزينة يا بيرونكا .. وخوليو محتاج الى المرح .

بيرونكا : تشيرين الى أن صحبتى لاتناسبه ؟

نوريا : أنا لم أقل هذا .

(ينهض خوليو بعصبية ويعبر المكان فى اتجاه البار بينما يستشرف متسمعا ناحية الستارة وقد بدا عليه أنه يخفى ضيقا شديدا لا يعرف الام يعزوه ، ترشح الجدران بمزيد من الضـــوء ، شبكة الشقوق السوداء تبدو واضحة) .

بيرونكا : (فى هذه الأثناء) هل تعرضين بى كى أسافر أنا ؟

نوريا : لا أستطيع أن أفعل ذلك ، فهذا ليس بيتى .. ومع أن ..

بيرونكا : اسكتى (ما زالت تنظر الى الأمام) ماذا بك يا خوليو •

خوليو : لا شىء •

بيرونكا : أنت شاحب الوجه وترتجف •

نوريا : لا يرتجف •

بيرونكا : هل تشعر بتعب ؟

خوليو : لا • لا •

(يعود الأب للظهور من خلال الستارة ، دائما بالنظارة) •

فيليب : (باسما وهامسا) ها هى المفاجأة •

نوريا : أين هى ؟

فيليب : ستدخل بها صديقاتك وقد وصلن الآن • فتأهبى لها •

(يرفع الستارة وهو يترنم برقة ودعابة بأغنية الربيع لميندلسون • اينيس وفابى يتقدمن بخطوات توقيعية منغمة وهن يرتدين لباس البحر

الجذاب لكن الشـــحوب يعلو وجوههن كما لو كان لكل منهما جمجمة تبتسم ، يحملن على أكتافهن تابوتا أبيض بلا غطاء وقد أمسك به معهن من الخلف الرجل المعذب ، يتوقفن) .

نوريا : (مجنونة من الفرح) عمى ! (تهرع الى جانبه كى تقبله) كنت لم أعد أنتظره .

فيليب : كان على أن أحضره بتوصية خاصة ، فلم يتبق فى المدينة ولا واحد .

نوريا : (تعود لاحتضانه وتقبيله) آى .. كم هو طيب أبوك يا خوليو .. وما أروع هذا ، لونه يروقنى أكثر من لون الذى لديك يا فابى .

اينيس : (بسخرية طفيفة) هل سننزل البحر يانوريا ؟

نوريا : لا بحر اليوم (صديقاتها يضحكن) هيا نجربه الآن فورا ، أولا على الشاطىء .

فابى : على الرمل .. لا يمكن ..

نوريا : ان لم يمكن نذهب الى المنتزه .

فابى : لو مررت على منزلنا أحضرت الذى عندى .

نوريا : أعطوه لى الآن ! (صديقاتها يضحكن) •

اينيس : كم أنت متعجلة ! (يتركن التابوت على الأرض)•

نوريا : انه لى ، لى أنا •

فابى : خذيه يا متلهفة •

(تشير اليه ، فتدخل نوريا فى التابوت وتعقد يديها) •

نوريا : تعال لترانى يا عمى •

فيليب : هيا هناك ••

(يقف بجانب الرجل المعذب ويشتركان مع الفتاتين فى رفع النعش) •

نوريا : وأنت أيضا يا خوليو ••

(خوليو لا يتحرك فقد جمد كأنه تمثال ، يبدأ الموكب الجنائزى فى السير ناحية الباب الزجاجى، تترنم الفتيات بشكل صاخب بأغنية الربيع ولا يكادون يخرجون حتى تبدأ السماء فى رعد وبرق مشئومين، ثم تتلاشى أصواتهم وضحكاتهم

صمت ، فجأة يذرع خوليو الغرفة الى خلفية المسرح) .

بيرونكا : خوليو ! (يتوقف) ماذا تصورت ؟

خوليو : لا يهم . (يخطو بضع خطوات) .

بيرونكا : انتظر يا خوليو (يتوقف) لم تكن خيالات ارادية ، أليس كذلك ؟

هذه أرعبتك (صمت قصير) قل لى ماذا كانت ؟

خوليو : لماذا ؟

بيرونكا : (تجلس فى أقصى يمين الأريكة) تعال الى الأريكة بجوارى .

خوليو : (يتردد ثم يجلس فى نهاية الأمر على المقعد الأيسر) ماذا أهدى أبى الى نوريا ؟

بيرونكا : جهاز قفز .

خوليو : حبلا للقفز ؟

بيرونكا : بل هو جهاز على شكل قائم يعتمد على أرضية دائرية ويرتكز على (سست) يضع الانسان قدميه فوقه ثم يستجمع قواه ويندفع قافزا ..

خوليو : آه ... !

(يبدو من نبرة صوته أنه قد اطمأن ، وفجأة تمر به لحظة رؤية عادية أخرى فيستطيع أن يميز من خلف منظاره تفصيلات حجرة الجلوس الدقيقة الغارقة فى الضوء ، يخلع النظارة بطريقة لا شعورية وينظر الى كل ما حوله حتى يثبت عينيه فى بيرونكا) .

بيرونكا : (بدون أن تنظر اليه) هيا بنا ياخوليو .

(تعود الظلمة لخوليو فيدعك عينيه ويبدو المكان مرة أخرى شاحبا كما يتصوره) .

خوليو : الى باريس ؟

بيرونكا : أجل .

خوليو : مع أبى ؟

بيرونكا : (تهز رأسها موافقة بحماس شديد) لا ، كيف يمكنك أن تفكر فى هذا .

خوليو : أشك فى أنه لن يتركنا هناك مطمئنين لفترة

طويلة ، هو يعبدنا ، بالرغم من أنه ربما لن أعلم بوصوله ..

بيرونكا : أنا لا أفهمك .

خوليو : أفضل البقاء هنا .

بيرونكا : منذ عدة أيام وقد تصارحت معه ، لقد فقد كل مرحه ، لو كنت ترى للاحظت عليه ذلك .

خوليو : ألاحظ عليه ذلك .

بيرونكا : لكنك لا تزال أعمى .

خوليو : لم ينته الحوار بينى وبينه .

بيرونكا : لا جدوى من مواصلة الحديث معه ، ربما كنت تحتاج الى من يحدثك أنت ..

خوليو : من ؟

بيرونكا : أنا ، لو كنت تسمح لى . (صمت) .

خوليو : بيرونكا ، لا فائدة ، لقد فقدت حماسى ، ربما لن أستعيد بصرى نحن نعيش فى انتظار الجحيم، الانفجار الذى لن يتحاشاه أحد ، نهاية العصر،

آخرون يتخدرون .. أنا أعيش تطادرنى أشباحى بدون حاجة الى هذا ، لقد تحولت الى كوابيس مفزعة .. رفض الرؤية استقالة .. اقتراب من الحلم .. أريد حلما عميقا مثل حلم المهد . نوم بداخل بطن الأم .. فى مائها الدافىء المظلم .. هل تسمعين الموج ؟

بيرونكا : (بانفعال وهلع) لا تنصت اليها ، تعال هنا .

خوليو : بيرونكا ! (ينهض ويهرع ليجلس بجوارها ويحتضنها فى يأس) .

لا أستطيع أن ألجأ الا اليك .

بيرونكا : (بهدوء شديد) ابنى !

خوليو : لا تخدعينى ، لا تتخلى عنى !

بيرونكا : اهدأ يا حبى .

خوليو : تحمليني !

(تميله بيرونكا الى حجرها وهو يحتضن خاصرتها) .

بيرونكا : هنا معى .. دائما (تداعب شعره) أنا مهدك ،

أمك ، وسأهبك الحياة حتى لو كانت أليمة ، حياة لا موت ، هه ؟ اهدأ • (صمت) •

خوليو : شكرا! يابيرونكا •

بيرونكا : تريد أن تنصت الى الآن ؟

خوليو : نعم •

بيرونكا : حتى لو آذاك ما أقول ؟

خوليو : (يبدو كأنه قد نعس) استمرى فى الحديث الى •

بيرونكا : حاول أن تفهم ياحبى •• أنا أحاول أن أفهم ، عندما جاء بنا والدك الى الجزيرة كنت أتوقع شيئا مريعا ــ لكن فيه الخلاص ــ مما سيجرى بينه وبينك من حديث ، وبدون أن نقول لبعضنا كان الأمل يغمرنا نحن الاثنين فى أنك ستعود لتفتح عينيك ، هل أخطأت ؟

خوليو : لا •

بيرونكا : لم تفتحهما ، ربما حدث ذات مرة لعدة ثوان •• (خوليو يهم بالكلام) أنت دائما تنكر هذا ،

لكن حتى لو لم تعترف به فنحن الاثنان نعرف
أن ثوانى من النور ليست هى الشفاء ..

خوليو : قد لا يحدث الشفاء .

بيرونكا : أرفض قبول ذلك ، لهذا أعتقد أنه .. يجب
أن نبحث فى جانب آخر ..

(ينصب خوليو قامته ببطء لكنه يظل جالسا
متكئا بجانبها) .

خوليو : فى جانب آخر ؟

بيرونكا : ذات مساء فى باريس ترى أدلة تبرهن على
أن أباك قام بتعذيب آخرين ، اكتشاف مريع
يمكن أن يحطم أى شاب ، حتى لو كان مثلك
غير محب لأبيه ولا لعالم أبيه الفاسد .. لكن
.. أن يعمى .. لماذا ؟

(يستعيد خوليو عصاه التى كان قد تركها بجانب
الأريكة ويدق بها الأرض بعصبية) لديك من
الحكمة والرشاد .. والازدراء .. ما يكفى
لتتجاوز الموقف ! وحتى لو كان مؤلما لكان

بوسعك أن تقاطعه نهائيا .. وتنساه كما لو كان غريبا .

خوليو : لم يكن غريبا .

بيرونكا : وأجدادنا ليسوا غرباء كذلك ، ولا أسلافهم .. وبعضهم كانوا جلادين نحن جميعا ننحدر من سلالة جلاد ما .

خوليو : (يبتعد عنها قليلا) هذا شيء آخر ، نحن لم نعرفهم ولم نحبهم .

بيرونكا : لكنك لم تحب أباك .. لدرجة العمى !

خوليو : والد صديقنا مات أعمى .

بيرونكا : لم تصب بالعمى عندما عرفت ذلك ، بل بعده بأربعة أيام (صمت قصير) بعد أن تلقيت الخطاب الذى يشير فيه أبوك الى نجاحه بيوم واحد .

خوليو : (يلتفت اليها ضاحكا بفتور) غريبة ! .. هل تكلمت معه عن هذا ؟

(صمت قصير) •

بيرونكا : (تهز رأسها موافقة عدة مرات) لا •

خوليو : أو فعلت هذا وتنكرينه ، كما أنكر أنا فى زعمك أشياء أخرى •• (ينهض) يعنى فى رأيك أننى أصبت بالعمى غيرة وحسدا لأبى على نجاحه ؟

بيرونكا : كان معرضك قد فشل ، حاول أن تفهم •

خوليو : (يذرع الغرفة) نعم أفهمك أكثر مما تظنين ، عميت من الاشمئزاز والرعب لكن أمى الصغيرة المحبة تعرض على تفسيرا استقته من مستنقع البرجوازية النفسى ، ويالها من صدفة ! •• نفس تفسير الطبيب النفسى المنمق الذى استشاره أبى ، فالشاب قد عمى لا لشىء الا للحسد الصبيانى • فهو ليس ضحية يتهم الآخرين ، بل مهرج •• نستطيع أن نتنفس فى ارتياح • غير أن هذا الاحتمال لا يفيد أيضا •• فبعد أن عرفه لا يزال أعمى ••

بيرونكا : لم تفهم (يتجه خوليو بسرعة الى خلفية المسرح) انتظر ! (تنهض) •

خوليو : لا أريد أن أسمعك •

بيرونكا : لا بد لك من ذلك عاجلا أو آجلا !

(يتردد خوليو ويتوقف ملتفتا نحوها) •

خوليو : حسنا ، أنا منصت اليك •

بيرونكا : نظن أننا قطعنا علاقاتنا بهذا العالم • وها نحن هنا ننعم بوسائل رفاهيته •• عندما نرسم صوره « الكاريكاتورية » اللاذعة نعرض فيها أشكالنا نفسها •

قد يكون التفسير الذى أعرضه عليك برجوازيا لكنه ليس زائفا ، من السذاجة أن نظن أننا قد أصبحنا مختلفين عنهم ، ويفوتنا أننا مازلنا خاضعين لعدواهم ، أنا أشك فيما سأقوله لك ياخوليو ، ولكننى أريد منك أن تتأمله ، لأننى أريد لك الشفاء • (صمت) •

خوليو : (يتقدم نحوها خطوة) استمرى •

بيرونكا : ربما لم يكن حسدك لنجاح أبيك فقط ..

خوليو : (باسما) بل فقدان الحماس .

بيرونكا : (دهشة) أجل .

خوليو : رسام فقد شجاعته .

بيرونكا : نعم وشيء آخر .

خوليو : (بسخرية) رائع ، وتقولين انك لم تتكلمى معه ؟

بيرونكا : ليس الى الحد الذى تفكر فيه .. كل ما فعلت هو ملاحظتك أنت .. بلا هوادة ، عدم شهيتك لأية فرشاة ، عدم حماسك أمام أية مشكلة فنية ، وقد اعتدت أن تقول عندما تتعثر : هذا يفعله أبى جيدا ، كنت تمزح .. لكن فى عينيك حزنا دفينا .. كنت تسخر من الاتقان الأكاديمى .. وكنت أسائل نفسى .. ألا تشتهيه فى أعماقك ؟

خوليو : (يجلس على حافة الأريكة الخلفية ويتحدث

بلهجة لاذعة) تريدين التلميح الى أننى لست فنانا ؟

بيرونكا : أجب أنت نفسك ، فأنت تعرف فى الفن أكثر، لا أريد أن أجـرحك لكنى أكوى لك جرحا أعمق ، ربما كنت تلاحظ نفسك بلا موهبـة ولا تريد أن تعترف بذلك ، برجوازى صغير ، نعم ، لم لا ؟ مفتون بأبيه ، ويريد أن يتفوق عليه ولا يستطيع •• يقرر أن يمارس الرسـم دون أن يكون فنانا ، (تتقلص يد خوليو على الأريكة بينمـا تسـتمر هى ببطء) فيعمى كى لا يرسم ! •• (يقف خوليو متوترا وتخفض هى صـوتها) وماضى أبيه ينفع تعلة له • ! (يكتم خوليو اضطرابه) فكر فى هذا •• ان لم تكن فنانا فستفتح عينيك فقط عندما تعترف بذلك •

خوليو : (يتمتم كاتما غضبه) ان لم أكن فنانا فماذا أكون ؟

بيرونكا : علينا أن نبحث فى ذلك ، ان لم يكن الرسم

هو طريقك فستجد طريقك الحقيقى ، سنجده أنا وأنت وحدنا ، بعيدا عن أبيك الذى يريد أن يشدك الى هنا • (تخفض صوتها) وأختك أيضا •• التى يروق لك حبها البرىء • لا أريد أن أعرف لماذا ، فأنا لا أفهمك تماما كذلك •• لكن ان لم نذهب أخشى أن لا تستطيع اختراق الشبكة المحكمة حولك •• أو أنك لا تريد ذلك، وعندئذ تكون قد أصبحت فى الواقع برجوازيا لا جدوى منه • يبرر نفسه كل يوم بسباب أبيه الذى يعوله •• والذى لا يريد أن ينفصل عنه (تقترب منه وتضع احدى يديها على كتفه) اهرب منه ياخوليو (يبتعد عنها خوليو بجفاف) اعذره ، لو كان هذا ضروريا ، ثم اتركه من خلفك •

خوليو : (مغيظا) أعذره ؟

بيرونكا : أردت أن أقول : عليك أن تنساه، هذا الشعور الغريب الذى يربطك به غير صحى ، ربما •• لا أعرف •• تعجب به وتكرهه فى نفس الوقت

لأنك تعتقد أنه يفوقك فى كل شىء ، •• فى الرسم •• وفى جاذبيته للنســـاء •• (يلتفت نحوها بتحفز) وفى حظه الذى أتاح له أن يظفر بحب أمك التى لم تكد تعرفها •

خوليو : (لا يكاد يتمالك نفسه من الغيظ) تماما •• تتكلمين من تلقينه !

بيرونكا : ماذا تقول ؟

خوليو : لا ، بل أسوأ من ذلك ، تنسبين الى مشاعرك الخاصة ، بدون أن تنتبهى •• لوحاته المائية تعجبك أكثر من لوحاتى •• نجاحه يغريك وفشلى يثير اشمئزازك (يذهب نحوها فتتراجع ويجذبها من معصمها) ولأننى يتيم فلا مفر من أن أمى الصغيرة تجعل حبها لى يزداد أمومة كل يوم وترى فى أبى توأمها الروحى •• يتركها بشدة)•

بيرونكا : خوليو !

خوليو : أنت لا تريدين شفائى بل القضاء على ، تريدين أن نذهب ربما دون أن تدركى أبعاد ماتدبرين،

ذات يوم فى باريس تتركين لى خطابا رقيقا ..
وتختفين .

بيرونكا : خوليو .. لقد ضاع صوابك .

خوليو : (صارخا) أنت الضائعة (تلهث ، صمت طويل)

بيرونكا : (بصوت ثلجى) لا فائدة فى أن أتعب نفسى معك ، أنا أيضا متعبة .. من انحرافك ، هناك شىء يفصلنا لا محالة .. سأسألك للمرة الأخيرة: أنسافر غدا ؟ (اشارة من خوليو ، صوتها يوشك أن يصبح نشيجا) لا تتعجل فى الاجابة .. فكر أولا .

خوليو : (بطريقة جازمة) سأبقى أنا .

بيرونكا : (تكتم ضيقها) كما تحب .
(تهرب عبر الستارة ، يلبس خوليو نظارته بعصبية ، ثم يلتفت وينصت لصوت البحر الذى يجذبه ويدفعه لأن يقترب منه فيتحسس بعصاه ويدنو من الحائط الزجاجى . صوت مارجوت يوقفه) .

مارجوت : صباح الخير ياخوليو .

(يزداد الضوء المسلط عليها وقد وقفت قرب الستارة ، تظهر على رأسها التجاعيد والقناع يجعلها مثل الدمية) .

خوليو : (يلتفت بسرعة) متى دخلت ؟

مارجوت : الآن فورا ، ألم تسمعنى ؟

خوليو : هل نحن وحدنا ؟

مارجوت : طبعا ، لماذا تسأل عن ذلك ؟ (تضحك ضحكة خفيفة) أنت لا تقصد التلميح الى أنك تريد شيئا منى ..

خوليو : (ساخرا) أن يدهشك ذلك ؟

مارجوت : (بتهالك كأنها صبية صغيرة) أنا أكبر منك بأعوام كثيرة ياولد . لكن .. لا يدهشنى ، فهذا الشبل .. من ذاك الأسد (بدلال) هكذا .. فأنا .. تحت أمرك .

خوليو : مزاجك رائق ! (اشارة ضيق من مارجوت) .

مارجوت : أنت الذى توقعنى فى المآزق .. ماذا أفعل وقد جئت لأقترح عليك شيئا عظيما .

خوليو : التحقيق الصحفى ؟

مارجوت : (تقترب منه) آلاف التحقيقات ، انتبه ولا تظن أننى مجنونة • لماذا لا تواصل الرسم ؟

خوليو : (كأنه يشعر بخدر مزاح ؟

مارجوت : لا ياخوليو ، لقد فكرت كثيرا فيك ، وخطر لى أنه فى الوقت الذى لا تستعيد فيه بصرك يمكنك أن تستغله ، ألا تفهم ؟ أول رسام أعمى فى العالم • سيكون شيئا عبقريا (تضحك) حسنا الفكرة هى أيضا عبقرية ، اعترف بهذا ، وأنا سأساعدك فى اطلاق الخبر وفى الدعاية له ، وأحضر شهودا وموثقين يؤكدون أنك ترسم وحدك بدون عون من أحد • وتقيم نظرية كاملة عن الرسم الأعمى ، وسأساعدك أنا أيضا فى ذلك ان أحببت (بدلال) فبالرغم من أنه لا يجدر بى أن أقول ذلك الا أن أسلوبى قوى •• وسترسم لوحات تجريدية بطبيعة الأمر ••

خوليو : (ببرود) أنت تدهشيننى (يعبر المكان فتذهب فى اثره) •

مارجوت : (فخورة) لا أقل من هذا •• تصور ، تذهب مرة أخرى الى باريس والعالم كله ، لكن بنجاح مؤكد الآن ، سيكون شيئا رائعا ، الادارة تنتصر على الكارثة ، وستجد من يعجب بك لدرجة العبادة •

خوليو : سيعجبون بنا •

مارجوت : (تمسك بذراعه بهيام) سيكون المجد كله لك •• أما أنا فسأبدو رفيقة متفانية ، ترد على الرسائل ،وتلقى المحاضرات •• تغريك الفكرة ؟ يجب أن نرتفع الى مستوى عصرنا •• نجدد كل لغاتنا ، نعود الى الصدق الذى تبشرون به أنتم معشر الشباب ، ممثلون بلا استعداد ، موسيقيون بدون دراسات •• اذن •• رسام بلا نظر •

خوليو : لا شك أن الفكرة ماهرة ، وهى أحسن طريقة لكى أظل أعمى •

مارجوت : ماذا ؟

خوليو : لو نجحت يجب على أن أظل أعمى طول حياتى، ألم تفكرى فى هذا ؟

(يضحك) أو أن ما فكرت فيه هو أن عماى لا برء له ؟ أليس كذلك ؟

(يضحك مرة أخرى) •

مارجوت : لا • لا • لكن •• ربما •• الآن يجب أن نستغل الوضع ، ونتكيف معه •• (يعلق خوليو بضحكات أخرى على هذه الكلمات) ستعجب الفكرة والدك بكل تأكيد ، هل تسمح لى أن أكلمه فيها •

(يكف خوليو عن الضحك • صمت)

خوليو : (بأقسى لهجة يستطيعها) لا •

مارجوت : (تتراجع مذعورة) كنت فقط أريد أن أساعدك ، ها أنا أرى أنه لا سبيل الى ذلك ؟

(تسمع همهمات وضحكات قريبة ، يلتفت خوليو تجاه خلفية المسرح ، تبدو ماتيلدى من

خلال الستارة بوجهها كثعلبة ومن خلفها زوجها ذو القرنين وفيليب الذى يضع نظارته السوداء)

ماتيلدى : (تترك حقيبة الشاطىء التى كانت تحملها على مقعد وتخرج لسانها لمارجـــوت التى تهددها بحركة من أصابعها) عم كنتما تتحدثان ؟

مارجوت : عن كل شىء ولا شىء بالذات • صباح الخير يا فيليب (تقترب منه بدلال) يبدو على وجهك اليوم أنك متعب قليلا •

فيليب : لم أستطع أن أرتاح جيدا هذه الليلة •

أرتيميو : (وقد اقترب من الحائط الزجاجى وأخذ يهز رأســه بحركات ثور وديع) احذر يا رجل •• لا تتعرض للشمس كثيرا •

فيليب : أتصحبيننا الى الشاطىء يا مارجوت ؟

مارجوت : بكل سرور •

فيليب : تريدين كأسا قبل ذلك ؟

مارجوت : لماذا لا ترينا أولا آخر ما رسمت من لوحات سأموت من الفضول • (يرجع خوليو رأسه

ويتجه ببطء الى المقعد المجاور للمدفأة حيث يتكىء على حافته الخلفية) .

ماتيلدى : هل رسمت شيئا فى هذه الأيام .

مارجوت : أعتقد هذا ، رأيته بالأمس وأول أمس من خلف نافذته وبيده الفرشاة .

ماتيلدى : أنت لا يفوتك شىء .

مارجوت : هذه صنعتى ، هيا ، كن طيبا وأرنا أعمالك الخالدة الجديدة .

(يجلس فيليب على الأريكة وتنحنى عليه ماتيلدى من الخلف مداعبة) .

فيليب : (مترددا) لكنها لا تستحق الاهتمام .. لوحتان صغيرتان تسليت برسمهما .

أرتيميو : ولم لا ؟ .. اصعد الآن فورا لاحضارهما .

خوليو : (باستهانة) طبعا يا أبىْ ، أحضرهما .

فيليب : (متوجسا) ألا يضايقك هذا ؟

خوليو : يضايقنى ؟

فيليب : (دون أن يتحرك) انهما هنا ، فى المكتبة ، ربما كان من الأفضل أن أطلعكم عليهما بعد حمام البحر ..

مارجوت : (دون أن تتحرك) ياله من متواضع ، أحضرهما (صمت) ما أروعها ! تعالوا .. تعالوا لتروها. (لا أحد يتحرك) .

ماتيلدى : أرنى ، أرنى .

أرتيميو : يارجل ، هذه تحفة ثمينة .

مارجوت : وأى احكام فى الصنعة ، صورة « مينيرفا » أليس كذلك ؟

أرتيميو : جميلة جدا .

ماتيلدى : لكن ألا تنتبهون ؟ انها صورة شخصية .

مارجوت : آه .. نعم ، لا مجال للشك ، انها بيرونكا .
(يلتفت خوليو نحوهم وقد تصلبت ملامح وجهه ، فوق المكتبة فى الاطار المعلق على الحائط بدون صورة يبدو الآن خيال بيرونكا المغرى فى عريه الرائع) .

خوليو : (بصوت مبحوح) هل الشبه شديد الى هذا الحد ؟

فيليب : لا تكترث لهذا يابنى ، انهم يبالغون ، والشبه شديد الغموض •

أرتيميو : ماذا تقول ، انها صورة طبق الأصل •

خوليو : (ببرود) متى وقفت أمامك كنموذج للرسم ؟

فيليب : التقطت ملامحها بسرعة دون أن تلاحظ ذلك ، ثم أكملت الرسم من الذاكرة ، لكن لا يوجد شبه كبير •• لم أكن أظن أنه سيلاحظ •

مارجوت : من العسير جدا أن يكون هذا الشبه من الذاكرة •

فيليب : (محرجا) بل هو شبه بسيط •

ماتيلدى : أنا أجده مطابقا للأصل •

أرتيميو : وأنا •

خوليو : (وهو يدق على حافة المقعد) وما هى اللوحة الثانية ؟

مارجوت : (دون أن تتحرك) ها هى (بعد لحظة) مدهشة !

ماتيلدى : جدا ، هذه أول مرة فيما أعلم يتناول فيها فيليب هذا الموضوع ..

مارجوت : لو ترى ماذا رسم والدك يا خوليو ، ويجب أن أعترف بأن هذا التجديد يسرنى كثيرا .. انه قد أضاف العمق الى الجمال ، ووصل من الآلهة الى الله ..

أرتيميو : عبارة ممتازة يا مارجوت

خوليو : (بتوتر) ماذا رسم ؟

مارجوت : المسيح على الصليب (صمت ، يرتعش خوليو ، وفى نفس الوقت الذى تتبخر فيه صورة بيرونكا يبدو طيف الرجل الدامى ببطء وقد تدلت رأسه على صدره وسمرت يداه فى خشبة غير منظورة ، وعبر هذا المناخ اللاواقعى يتبادل خوليو وأبوه نظرات ثابتة من خلف نظاراتهما السوداء) هائل

أرتيميو : فعلا هائل ، لكن ألم تضع له جراحا كثيرة ؟

مارجوت : لقد جلدوا المسيح بالسياط بطريقة بربرية

ماتيلدى : انها فاتنة ، على أننى أيضا بصراحة كنت أفضل لو كانت الدماء فيها أقل (ضحكة طفيفة من خوليو) مم تضحك يا خوليو ؟

خوليو : لا شيء •

ماتيلدى : هذا لا يليق بك وليس أهم ما فى صـــورة سيدنا المسيح ، التقوى الحقيقية لا تحتاج لكل تلك القروح •• يجب عرض الجـــلال الالهى بطريقة أجمـــل وأنبل • ألا تعتقـــدين ذلك يا مارجوت ؟

مارجوت : هناك معايير كثيرة ، وعلى أية حال ما دام الموضوع قد عولج بهذا الشجن الهائل فان شكل اللوحة يبدو رقيقا جدا (تدور برأسها تجـاه خوليو) نظل طيلة حياتنا نحاول أن نفهم جرأة الرسامين الشبان وينتهى بنا الأمر الى التسليم

بشيء بديهى ، ليس هناك ما يقـــارن بالرسم التقليدى الأصيل •

(تبدو مارجوت وقد أمسكت فى يديها بعصا وأخذت تتجول فى الحجرة كالعمياء بدون أن تحدث أية ضجة ، يرن صوت خوليو مرتجفا بغضب مكتوم)

خوليو : تماما ، الآن يمكنكم أن تذهبوا تحت المظلة لتثرثروا عن آخر ما قيل ويقال فى الحى •• هيا تقدموا •

(ينهض فيليب دون أن يكف عن متابعة ابنه بنظراته) •

أرتيميو : أى حشرة لسعتك !

(تعتدل ماتيلدى فى وقفتها ، يلاحظ فى يديها عصا أخرى وتأخذ بدورها فى التجول بالغرفة كأنها عمياء مثـــل مارجوت ضربات العصيان المتخيلة لا تسمع) •

خوليو : كيف يستطيع أى انسان أن يظن أننى يمكن أن

أتعود على هذه النفايات ؟

أرتيميو : يافتى ! .. هذه لغة ..

(يتحسس هو الآخر بعصا تبدو فى يديه ويتجول فى الحجرة ، دورات العميان الثلاثة ترسم شكل رقصة غريبة تتجاوب مع النور الشاحب المنبعث من الجدران . يظل خوليو وفيليب متواجهين بلا حراك ، وقد سلطت على رأسيهما أضواء قوية) .

خوليو : هل أضايقكم ؟ آسف ، لا أعرف ولا أريد أن أستخدم لغتكم .

فيليب : من فضلك ياخوليو ..

خوليو : لماذا هذا المصلوب يا أبى ؟ أتتجه بأنظارك الى المسامح الكبير لعله يوجد حقيقة ويسامحك ؟

فيليب : يا ابنى ..

خوليو : وان لم يغفر لك ؟ فما كل من استشهدوا على يديك سيغفرون لك .

فيليب : خوليو ، أرجو أن تزن كلماتك ..

خوليو : أهى رشوة لله ؟ أو تريد أن تسامح نفسك أولا بلوحة عذبة جميلة ؟

ماتيلدى : أنت مجنون ياخوليو •

مارجوت : (بصوت خفيض) من الحسد •

خوليو : (بدون أن يلتفت اليهما) أتخشى أن أتكلم يا أبى ؟ هل يفزعك أن أكشف عنه ؟

مارجوت : عن أى شىء ؟

فيليب : أرجوك أن تحترم حزنى فحسب •

خوليو : طبعا ، فالحزن عندكم أيضا جدير بالاحترام •

ماتيلدى : عن أى حزن تتكلم ؟

فيليب : (يرفع صوته) على الأقل ، حزن حقيقى مثل الذى لديك •

أرتيميو : أية حماقات هذه ؟

خوليو : أهذا كذب آخر ، لو كان لا يزال بداخلك شىء من الحقيقة لم تشعر بالحزن بل بالرعب •

فيليب : ماذا تعرف أنت عن شعورى ؟

ماتيلدى : (بحدة) من فضلكم ، تمالكوا أنفسكم ، لا تكونوا حمقى •

(رقصة العميان مستمرة ، يبدو الثلاثة خلال لحظة وهم يشيرون بأصابعهم الى أصداغهم بحركة مثقاب دالة على الاحتقار واتهام أحد بالجنون • صمت ، يختفى طيف الرجل المعذب) •

خوليو : اطمئن يا أبى ، لن أتكلم •• لا جدوى •• سيقول الجميع هذا جنون منى ولن تكذب أنت ذلك ، كلكم ستضعون — وأنت أولهم — نظارات سوداء وقطنا فى آذانكم •

أرتيميو : أترى كيف تهذى يا خوليو ؟ فأنت وحدك الذى تلبس هنا نظارة سوداء •

خوليو : أنتم أشد عمى منى وأشد صمما •

مارجوت : (تمزح) لأنك تصرخ كثيرا ••

خوليو : هكذا ؟ اذن سأقول لكم شيئا دون أن أصرخ •

فيليب : خوليو !

خوليو : اطمئن يا أبى ، لن أقول ما يجهلون ، بل شيئا ظريفا جدا تعرفونه كلكم تماما ، ألا تسمعونه ؟

أرتيميو : بل نسمعه •

خوليو : ألن تعترفوا به ؟

أرتيميو : لم لا ؟ ان كان حقا ••

خوليو : هل تجرؤون على الاعتراف بأن نوريا هى بنت أبى •

(يقف العميان الثلاثة مرة واحدة) •

فيليب : خوليو !

ماتيلدى : (دون أن تنظر الى أحد وصـــوتها مفعم بالغيظ) أشعر أننى أهنت •• صفعت •

أرتيميو : (دون أن ينظر الى خوليو يبدو عليه رد الفعل بصعوبة) ماذا قلت ؟

خوليو : (باسما) آه ! •• لم تسمع !

أرتيميو : أظن أنه مزاح قليل الذوق •

خوليو : بل هو سر صارخ •

ماتيلدى : (باكية) هيا بنا يا أرتيميو •

خوليو : لا تزعم أنك كنت تجهل ذلك (صمت قصير) •

أرتيميو : نذل !

(من المفروض أنه يحاول أن يعتدى على خوليو، فبدون أن ينظر اليه يخطو نحوه عدة خطوات ولكن مارجوت تحول بينه وبين ذلك بعصاها ويمد فيليب ذراعه دون أن يلمس صديقه)

دعونى !

فيليب : انه أعمى يا أرتيميو •

أرتيميو : هذا ما يستحق •

خوليو : (بدهشة) أكنت تجهل ذلك ؟

أرتيميو : نذل حقير •••

فيليب : من فضلك يا أرتيميو •

خوليو : نذل لأننى أقول ذلك ؟ أما أن أفعله ان أمكن فلا ، هذا وأشياء أخرى ، لكن يجب السكوت، أو التعليق عليه بصوت خفيض عندما يرتكبه الآخرون ، كأنه نكتة أخرى تتظرفون بها فى عبثكم !! (صمت قصير) ان كنت لا تعرف

فأنا آسف ، لم أكن أريد أن أجرحك • فالنفاق العام كان أعظم مما أظن •

فيليب : اخرج من هنا حالا ياخوليو •

ماتيلدى : لا • سنذهب نحن •

خوليو : لا داعى لهذا ، سأذهب أنا ، فبدونى يمكنكم أن تصلحوا هذا الأمر بشكل أفضل بكل تأكيد، أنتم خبراء ، حتى أنكم تسمون أنفسكم شبانا وأنتم طاعنون فى السن !

ماتيلدى : (تشتم ؟ أو تضرع ؟) ما قلته ياخوليو كذبة قذرة (صمت طويل) •

خوليو : ربما يا أرتيميو ، ربما لم يكن الا مزاحا عديم الذوق ، أنا لا أعرف شيئا ، سأعود الى عالمى المظلم ، وداعا !

(تنطفىء الأنوار بسرعة لدرجة الظلمة الحالكة، يمكننا أن نشعر بهزة الستارة عندما يعود النور العادى ، فيليب ليس بعيدا عن المكان الذى كان يتخيله فيه خوليو ، يتكىء على حافة منضدة

البار العالية وقد اختفت من على وجهه النظارة، ومارجوت بدون قناعها الذى تبدو فيه عجوزا مدبوغة الجلد تقف بقرب المكتبة وبيدها حافظة أوراق كبيرة ، أرتيميو يقف فى وسط المسرح متجها الى الحائط الزجاجى ينظر الى الشاطىء وبدون قرونه الخيالية ، يختفى من وجه ماتيلدى قناع الثعلبة وتبدو وهى تلبس نظارة شمس بلون الكهرمان تخفى من خلفها عينيها المبللتين بالدموع ، وتجلس على مقعد عالى الجوانب وقد أعطت ظهرها للجميع ، لا نرى أى عصا الآن • صمت) •

فيليب : (دون أن ينظر الى أحد) أرتيميو •• لم تصدق كلمة واحدة من هذا الذى افتراه خوليو •• ما قاله لا يغتفر ولن ألتمس له أى عذر ، لكنه يريد أن يجرح الجميع •• لأنه أصبح يائسا •

مارجوت : (بصوت هادىء تقليدى) بطبيعة الأمر • هذا هو السبب •

(تترك حافظة الأوراق على المكتبة وتجلس) •

فيليب : من الممكن أن يكون هناك كلام عن ماتيلدى وعنى •• فهذا شأن الناس ، ولما كنا نحن الثلاثة أصدقاء بهذه الصورة فضرورى أن يحدث هذا• لكن مارجوت هى أيضا صديقتى •• وأنتم لا تجهلون أنها •• تعرف جيدا من هن صديقاتى •• (تنظر اليه مارجوت بعيون محملقة ، بينما ينظر الزوجان اليها بتعقل له دلالته ، تغض هى نظرها بخجل) ويمكنها أن تقسم لك أن ماتيلدى كانت دائما مقدسة بالنسبة لى •

مارجوت : (مبتسمة تنظر مرة أخرى الى فيليب) بالطبع •

ماتيلدى : (دون أن تلتفت) هذه التعليقات اساءة الى يا فيليب ، وقد قال هذا البائس المسكين انه لا يعرف شيئا •

مارجوت : اعترف بأنه مزاح •

ماتيلدى : لكنه لا يغتفر (تنهض) أنا آسفة يافيليب ،

مادام ابنك هنا فلن أضع قدمى فى هذا البيت
(بدون أن تنظر الى زوجها) هيا بنا يا أرتيميو
(تخطو الى خلفية المسرح) •

أرتيميو : (منكس الرأس يبدأ فى التحـرك) نعم ، هيا بنا •

فيليب : لا من فضلكم (يذهب نحوهما) لو مشيتم الآن لأعطيتموه الحق • ألا تفهمون ذلك ؟

ماتيلدى : لا تصر •

فيليب : لو تصرفتم كما لو لم يكن قد حـدث شىء لوضعتموه فى مكانه الصحيح ولبرهنتم له على أن أكاذيبه لا تؤثر فيكم ، بالاضافة الى أنه يجب تفادى الافتراءات • نستطيع أن نثق فى مارجوت •• لن تفوه بكلمة ••

مارجوت : هذا أقل ما يجب •

فيليب : لكننا لا نستطيع أن نثق فيه ، ولا فيمن يتشممون رائحة كل شىء •• تعودتم كل يوم أن تجيئوا

الى مظلتى على الشاطىء فتعالوا اليوم أيضا حتى لا يشك أحد فى قيام مشاكل بيننا ، وكأن شيئا لم يكن .

مارجوت : وبالفعل لم يحدث أى شىء .

فيليب : لهذا هيا بنا الآن الى الشاطىء من فضلكم ، لنأخذ حمامنا ونضحك .. أما ابنى فسأكلمه فيما بعد ، يجب أن يعتذر ولا بد أن يفعل ذلك .

أرتيميو : (ينجلى صـوته) دعه .. ينبغى أن ندرك مأسـاته .

(تنهض مارجوت باسمة وتوافق على كلامه بانحناءة من رأسها ثم تضغط على ذراعه) .

فيليب : (بتأثر شديد ربما كان واقعيا) بالحضن ياأرتيميو (يتعانقان بحرارة) سيعتذر خوليو على أية حال يا ماتيلدى .. لأنه أهانك أنت أكثر !
والآن هيا الى الشاطىء فقد تأخر الوقت .
(تتردد ماتيلدى مرتبكة وتنظر الى زوجهـا ،

ينظر اليها أرتيميو طويلا لأول مرة منذ خرج خوليو) •

ماتيلدى : (بصوت منخفض) تريد أن تذهب يا أرتيميو؟

أرتيميو : أعتقد أن هذا أفضل شيء •• يابنية !

(تنفجر ماتيلدى فى نشيج هستيرى وترتمى فى ذراعيه ، يداعب أرتيميو شعرها) •

ماتيلدى : حسنا ، هيا بنا •• لكن سنذهب من الشاطىء الى النادى •• لا أريد أن أعود الى هنا •• لا أريد أن أعثر فيه •

أرتيميو : كما تقولين أنت !

(يقودها ناحية الباب الزجاجى ، تفلت هى منه، وتلتقط حقيبتها التى تخرج منها علبة مسحوق وتصلح من زينتها) •

مارجوت : كل شيء حسن مادام ينتهى حسنا ، كما يقول شكسبير •

فيليب : (الى ماتيلدى) شكرا •

ماتيلدى : (بينما تصلح من شأنها) ونوريا ، ألم تأت هذا الصباح ؟

(لمسة باردة تمسهم جميعا ، ماتيلدى تتغير أيضا وتندم على سؤالها غير اللائق) •

فيليب : (محرجا) منذ نصف ساعة وهى هناك مع صديقاتها يلعبن بجهاز القفز •• أهديته لها اليوم •

أرتيميو : (ينظر اليه باسما وعلى وجهه ظل من الارتياب) هدايا وهدايا •• سأظن أنك تحبها •• مثل بنتك •

ماتيلدى : أرتيميو !

فيليب : (ينظر الى عينيه) لا مزاح فى هذا •• أحبها كما لو كانت بنتى •

مارجوت : (ضاحكة هيا الى الشاطىء •• الى الشاطىء (يستعدون للخروج) •

فيليب : اسبقونى أنتم ، سألحق بكم فى الحال •

أرتيميو : لا تتأخر يافتى !

(يخـرج كل من أرتيميو وماتيلدى ، تتلكأ مارجوت وتتكلم بطريقة معسولة) •

مارجوت : هل أصحبك ؟

فيليب : ليس الآن يا مارجوت ، أرجوك •

مارجوت : (بتلميح مقصود) عندما تريد ، أنت تعرف •

فيليب : أعرف يا مارجوت ، شكرا جزيلا •

(تنظر مارجوت ناحية الخارج ثم تهرع الى جانبه وتطبع على شفتيه قبلة طويلة بشوق عارم ثم تخرج مهرولة من الباب الزجاجى ، يعود فيليب وهو يزفر بشدة وبالرغم من أنه قد بقى وحده الا أن وجهه لا يخفى الذعر الذى حاول مداراته • تلهث رئتاه ، وتهتز رأسه بعلامات استنكار مبهمة ، ينظف بلل قبلة مارجوت بظهر يده ، يلاحظ عليه الضعف ، ربما على وشك أن يجهش بالبكاء ، يذهب الى البار ويصب كأسا ثم يشرب قليلا منه ، يعبر المكان الى المدفأة ويأخذ قرصا من الدواء ويبتلعه مستعينا بجرعة

أخرى • يعود الى وسط الحجرة مقطب الجبين ثم يتوقف ناظرا الى الشاطىء الذى يجب عليه أن يذهب اليه بلا أدنى رغبة • ينتهى من شرب كأسه ويحزم أمره ويذهب بسرعة الى البار ويتركه ، وعندما يستدير يرى بيرونكا التى تظهر من خلف الستارة) •

بيرونكا : لا أجد خوليو •

فيليب : خرج من هنا منذ قليل •

بيرونكا : (تذهب ناحية الحائط الزجاجى وتنظر عبره) ولا أراه أيضا على الشاطىء •• حسنا ، لا يهم هذا ، جئت لأبلغه شيئا يجب أن تعرفه أنت أيضا •• سأذهب غدا •

فيليب : لماذا ؟

بيرونكا : لقد انتصرت أنت ، أردت أن أجعل منه رجلا فلم أستطع •• حاولت أن أجعله يحبنى وأعتقد أننى أيضا لم أنجح فى هذا ، لا فائدة من كل

ذلك ، لا أستطيع أن أواصل حمايته من نفسه ..
سأتركه لك وستنتهى أنت بتحطيمه .

فيليب : تعرفين أننى لا أريد تحطيمه .

بيرونكا : ستفعل ذلك ، ولو لم أكن قد فقدت كل تأثير عليه لحاولت تحاشى هذا .. لقد فقدته ويجب على أن أذهب .

(صمت ، يتجه فيليب ناحية الأريكة وقد بدا عليه الارهاق) .

فيليب : (يجلس) انتظرى على الأقل عدة أيام حتى أعود ..

بيرونكا : لا .

فيليب : هل تخاصمتما ؟

بيرونكا : ليس لدى ما أقوله .. فان لم تكن تحتاج الى ..

فيليب : أضرع اليك .. أنا متعب .. ولا أستطيع أن أرفع صوتى (بيرونكا تقترب منه) .

بيرونكا : (ببرود) هل أنت مريض ؟

فيليب : متعب .

بيرونكا : تريد أن أدعو لك ..

فيليب : أريد أن تنصتى الى ، اجلسى من فضلك (يبدو على صوته الضعف) قريبا ، حتى يمكنك أن تسمعى جيدا (تجلس بيرونكا بجواره على مضض) شكرا (صمت قصير) أنا أيضا فكرت كثيرا وأعتقد أن معك الحق ، أنا وخوليو يجب أن ينفصل كلانا عن الآخر الى الأبد .

بيرونكا : لا يريد أن يذهب من هنا ، لهذا سأرحل أنا .

فيليب : (بصوت هادىء) يعنى .. ألا تفهمين ؟ ان لم يكن يريد أن يذهب فأنا الذى سيذهب . لكن على شرط أن يبقى أحد لرعايته .. فلن تتركه وحده ، وليس هناك من هو أفضل منك للبقاء بجواره ، يوما ما سأختفى أنا ، لم أعد شابا ، فماذا يحدث له ؟ (تنفرج الستارة قليلا بيد رقيقة مرتعشة ، تنطفىء الأضواء حتى الظلام

الدامس ، ثم تعود الأنوار غير الواقعية فتبدو فيها بيرونكا وفيليب متعانقان بحنو عظيم) الناس يعلقون هنا مازحين على فارق السن بينكما ، لكن هذا سرنى منذ أول يوم (من خلال الظلام المتكاثف على خلفية المسرح نستطيع أن نميز وجه خوليو المعذب) وأدركت أنه يمكنك أن تكونى انقاذا لخوليو ، وأنت كذلك فعلا •

بيرونكا : (ساخرة) أمه الصغيرة •

فيليب : بدون سخرية ، الأم التى لم يستمتع بها ومازال محتاجا اليها •

بيرونكا : أنت مخطىء فى هذا ، لم تعد لى قيمة عنده الآن ، هو لا يريد أن يبتعد عنك أنت ، ولو ذهبت سينتظرك • ولو لم تعد فسيذهب بحثا عنك •• لا عنى •

(صورتها وصورة فيليب تستغرقان فى قبلة محمومة ، رأس خوليو يتحرك بيأس وكأنه ينشد

بعضا من ضوء لا يصل، فجأة يغمر النور العادى الحجرة ، بيرونكا وفيليب مازالا بجوار بعض لكن دون قبل • بيد أنه عندما ينظر اليهما خوليو تلفهما الظلمة فجأة وتعود أطيافهما المتعانقة المسرفة فى المداعبات • يشعر خوليو بأشواق مضاعفة للرؤية ويهز رأسه علامة الاستنكار بعناد • تقلصات ملامحه تصل الى أقصى مداها، يعود النور من جديد •• يتأكد خوليو ناظرا الى هنا وهناك أنه لن يذهب ، عندئذ ينظر بامعان الى الاثنين وهما قريبان جدا من بعض ، يضع نظارته بحركة سريعة) •

فيليب : يجب أن أذهب حتى لا أحطمه • ولو رحلنا نحن الاثنان أصابه اليأس

خوليو : معا ؟

(ينظر اليه فيليب وبيرونكا بدهشة ، يتقدم هو متظاهرا بأنه لا يزال أعمى فيتحسس الطريق بعصاه وتبدو حركاته مترددة غير واثقة) •

يجب أن تسافرا معا ، لم يعد من اللازم أن تخفيا شيئا عنى •

بيرونكا : خوليو •• تخطىء مرة أخرى •

خوليو : (ضاحكا) نعم ؟ ربما لأنى أعمى ، ساعدينى أنت على أن أفهم •

(يجلس على المقعد الأيمن ويترك عصاه على جانب) •

يعنى عندما لا يسمعكما أحد تتحدثان الى بعض دون تكليف •

فيليب : طلبت أنا منها ذلك •

خوليو : واستجابت بيرونكا ، لكن هذا لا يعنى شيئا، فكل النـــاس يتكلمون الآن بدون تكليف ، وطلبت منها أيضا أن تقف أمامك كنموذج للرسم

فيليب : لقد شرحت لك هذا ، رسمت تلك اللوحة من الذاكرة •

بيرونكا : أى لوحة ؟

خوليو : (ضاحكا) رائع ، ان لم أستسلم أمام هذه

اللهجة الصادقة المقنعة فأنا مجنون (يتحسس المنضدة) .

فيليب : أتريد شيئا ؟

خوليو : (يلتقط الخنجر المزركش الذى يستعمل لفتح الكتب) لا شيء .. أى شيء مثل هذا لأعبث به (يلعب به ، يهم فيليب بالنهـوض) هل ستقوم يا أبى ؟

فيليب : نعم .

خوليو : لا تقم ، استمر بجانب بيرونكا (بيرونكا وفيليب يتبادلان النظرات) .

بيرونكا : خوليو ، موقفك غير معقول ، كنت أقول لأبيك ببساطة اننى سأذهب غدا . (تحاول القيام) .

خوليو : (بحزم) لا تتحركى (تجلس وتنظر اليه بامعان) استمرى بجانبه ، على أنه ما الفرق عندك ؟ .. أنا لا أرى .. وأنتما ، أبى العـزيز وأمى الصغيرة ، ولو كنتما متعانقان عودا للعناق ..

بيرونكا : خوليو ، أنا لا أسمح لك ..

خوليو : (ضاحكا) انها لعبة الدجاجة العمياء يا امرأة .. تسخران منى أمام عينى المغلقتين وأنا .. (يطعن الهواء طعنتين أو ثلاث بالخنجر الذى فى يده) أبحث عمن يبقى معى ، هه ؟ .. اسخرا ، ألم تشعرا أبدا أمام أعمى بهـذا الدافع الـذى لا يقاوم .. أما أنا فقد كنت أشعر به وأنا أرى .. هكذا كنت بائسا ، لكن كلنا بؤساء .. ان لم تكونا تتبادلان المداعبات فافعلا ذلك الآن على سبيل اللعب ! .. كنتما تقولان لى اننى أخدع نفسى وتتعانقان فى صمت أمامى ... ولأننى لا أرى .. تجرأ ! ..

(بيرونكا وفيليب يتبادلان النظرات .. يراقبهما خوليو بانتباه) .

أفعلتما هذا ؟

بيرونكا : لا الآن ولا من قبل !

خوليو : تنكران .. هذا طبيعى ، فأنا لا أستطيع أن أرى تعبيراتكما ولنستمر فى اللعب ، تصور

يا أبى أننى أريد أن أصف لك لوحة سأرسمها •• مشهد عنيف ملىء بأذرع متشنجة •• ورماح وسيوف متطايرة فى الجو (يطعن الهواء) وفى حرارة الشرح •• تهرب يدى ، وهذا الخنجر الصغير يغرس فى صدرك ! فى حركة مماثلة تطول يده فعلا وتصل قرب صدر أبيه ، يرتمى الاثنان الى الخلف وينظران اليه مذعورين) وتقول الصحف ، أب مات بيد ابنه الأعمى ، فى حادثة غير مقصودة !

فيليب : (بصوت خفيض) خوليو •• من فضلك !

خوليو : (ضاحكا) هيا ، استمرا فى اللعبة ، تعانقا الآن أمام الخطر •• لا ؟ ولا حتى يد تلتمس العزاء لدى اليد الأخرى ، بينما ترقب العيون هذا الخنجر الصغير ؟ (صمت) •

بيرونكا : لو كنت ترانا لن تجد أيديا متشابكة ولا ملامح مذنبة ، والآن انته من لعبتك كما تحب •

(صمت ، يترك خوليو الخنجر يرن على زجاج المنضدة ثم يتنهد ويخلع النظارة ويحتفظ بها وينظر

الى بيرونكا) انتهت اللعبة ، تعبت •
(أمام دهشة الآخرين ينهض ويذهب الى البار ويبحث فيه عن شيء يشربه) منذ عدة دقائق وأنا أراكم •

فيليب : (ينهض) ابنى ! هذا صحيح ؟

خوليو : (يصب لنفسه كأسا) ترون أن هذا صحيح ، والنور لا يذهب (يشرب) آه •• أشعر أننى خفيف الوزن (يفرك عينيه وينظر فيما حوله) هادىء النفس (تنهض بيرونكا بانفعال وتأثر شديدين) معذرة يا بيرونكا كنت أشك فيك وأردت أن أتحقق •

بيرونكا : (منتحبة) خوليو !
(تجرى اليه وترتمى فى حضنه) •

خوليو : لكن ، هذا مخجل ، كيف أمكننى أن أستسلم لهذه الغيرة المضحكة ؟ لهذا المشهد « الميلودرامى » الردىء الذى قمت به معكم الآن ؟ يالها من تفاهات طفل مدلل !

بيرونكا : سنسافر غدا ، معا ، والى الأبد •

خوليو : هذا ما سنفعله .

بيرونكا : خوليو ، خوليو ، لن أعود لهذا الضعف ، لكن الآن .. على أن أبكى .. (تبكى فى حضنه ، يجلس فيليب ويضع رأسه بين يديه المتشابكتين كأنه يصلى ، كتفاه يرتجفان ، ربما كان يبكى هو الآخر ، خوليو يجر بيرونكا فى اتجاه الحائط الزجاجى) .

خوليو : انظرى الى الشمس ، وزرقة السماء (يديرها نحوه ويتأمل وجهها) وأنت .. أنت . (يضمها بين ذراعيه) لن أعمى مرة أخرى أبدا .. أبدا. يقبلها بحرارة وقد ابتلت عيناه بالدموع)
لا يمكن أن أفقد هذه الروعة . هذا بالغ الشناعة ، انه العدم ، ان كان النسيان لازما كى أحتفظ بهذا الرسم الهائل فسأنسى ، سأنسى أن هذه الزرقة مسممة .

(تفلت منه بنعومة ، ويدها التى كانت متشابكة مع يده تنسحب برقة) .

آه ، أتنفس .. (يتلفت وكأنه يشرب بعينيه كل

ما يرى) ما ألطف كل هذا ! ، هذه اللوحة القديمة أيضا ، وهذا الكوكب الذى لا يدور الآن • أى سلام !

بيرونكا : (قلقة) ليس من الضرورى أن تنسى يا خوليو •

خوليو : لكن ألم تطلبى أنت منى أن أنسى ؟

بيرونكا : أن تنسى •• بدون أن تنسى •

خوليو : بيرونكا ، الظلام لا يقاوم ، دعينى أستمتع اليوم بهـذه العذوبة الحلوة حتى لو كانت عذوبة مذنبة •

بيرونكا : يمكنك أن ترى دون أن تنسى •

خوليو : ربما ، لكننى شديد الارهاق •• أرى ، حتى ولو كان ما أراه أكاذيب فما كنت أراه وأنا أعمى كان أكاذيب كذلك •

بيرونكا : ليست كلها •

خوليو : لا أعرف ، لا أعرف (تنظر اليه بيرونكا بضيق شديد ، يجلس خوليو على الأريكة قرب أبيه) أنت موسوم يا أبى (يرفع فيليب رأسه ثم ينكسها بمذلة مرة أخرى) هذا غريب ، تحت

هذا الضـــوء الهـــادىء الوديع يبدو أن من المستحيل أن تكون قد فعلت ذلك .. أفعلته حقيقة ؟

فيليب : (هامسا) يبدو لى أيضا أنه مستحيل .
(يغيم وجه بيرونكا) .

بيرونكا : (بجفاف) هل سنذهب غدا يا خوليو ؟

فيليب : (بارهاق شديد) ابقوا أنتم ، سأذهب أنا .

بيرونكا : (باصرار) لا . (تتجه الى خوليو) هيا بنا الآن .. الآن .

خوليو : (ينهض بعصبية) من فضلك يا بيرونكا ، نحن الاثنان نحتاج الى الهدوء .

بيرونكا : (تهرع لاحتضانه) اذن فلنذهب .

فيليب : (بصوت ضعيف) ابقيا أنتما ، أسوأ ما هناك ابتلعه الماضى .. استمتع بشفائك يابنى .. حتى ولو لبضعة أيام ، فى هذا المكان الهادىء الذى بحثت عنه من أجلكما .

بيرونكا : (باحترام) لا تنصت اليه .

(يسمع من خارج حجرة الصالون صوت تليفون قريب ، يدير فيليب رأسه مترددا يبتعد خوليو وبيرونكا بعضهما عن بعض ، يتبادل الثلاثة النظرات بدون ارتياح يلح التليفون فى النداء)

خوليو : لا أحد يرد •

فيليب : هذا تليفون حجرة الاستقبال ، الخدم فوق ••

بيرونكا : سأذهب أنا •

(تذهب الى خلفية المسرح وتخرج عبر الستارة، يكتم خوليو قلقا لا يعرف مصدره ويقترب من المقعد الذى ترك عليه عصاه ويتناولها ، يكف التليفون عن الرنين) •

فيليب : (منزعجا) العصا مرة أخرى ؟ أتلاحظ شيئا ؟

خوليو : لا • لا • أرى جيدا (يخطو بضع خطوات الى الداخل بعصبية) •

فيليب : لماذا لا تبقى عدة أيام وتذهب لاستشارة الطبيب النفسى ؟ ينبغى ضمان شفائك ••

(لا يجيب خوليو ويسترق النظر تجاه الستارة

ثم يذهب بعد ذلك الى دولاب الكتب ويلتقط حافظة الأوراق التى كانت تمسك بها مارجوت)

خوليو : لوحاتك هنا ؟

فيليب : نعم •

(يفتح خوليو حافظة الأوراق وينظر الى أول صورة) •

خوليو : (ببرود) الشبه مع بيرونكا غامض •

فيليب : قلت لك ذلك (يتأمل خوليو اللوحة الثانية ثم ينظر الى أبيه الذى يحول عينيه ويتحمل الصمت بارتباك ، يغلق خوليو الحافظة ويتركها حيث كانت ثم يعود لملاحظة أبيه بعيون مكتئبة ، تعود بيرونكا للظهور من ناحية الستارة ، ينظر اليها خوليو) من كان يتكلم ؟

بيرونكا : (بوجه لا تعبير فيه) مكالمة من أجل ماتيلدى وأرتيميو ، يجب عليهم أن يعودوا لمنزلهم لأن بعض أقربائهم قد حضروا •• سأذهب لأقول لهم ذلك •

(تمضى نحو الباب الزجاجى ولكنها تتوقف عندما تسمع فيليب) •

فيليب : ولماذا لا تذهب أنت يا خوليو ؟ ستكون فرحتهم بلا حدود عندما يرونك وقد شفيت ، فهم أيضا يحبونك ويستحقون اعتذارا لطيفا ، فقد قلت لهم من قبل أشياء فى غاية القبح ••

(ينظر اليه خوليو كما ينظر الى الخارج حائرا)

بيرونكا : (بسرعة) لا تفعل هذا ، سأذهب أنا •

(تخرج من الباب الزجاجى ، صمت ، يسمع صوت البحر ، يظل خوليو قلقا تحدث فجأة لحظة ظلام دامس ولكن النور يعود فى الحال، يبدو خوليو فزعا ، يتلفت حوله وينظر الى كل اتجاه) •

خوليو : كانت بيرونكا تكذب ، مكالمة أصدقائك لم تكن هكذا •

(ينظر الى الخارج) •

فيليب : لا أفهم ، هى لم تقل شيئا •

خوليو : أنا أعرفها أحسن منك ، لا بد أن شيئا ما قد حدث .

(مرة أخرى ظلمة دامسة خلال ثانية واحدة) .

فيليب : ماذا يمكن أن يحدث ؟ أنت الذى مازلت متأثرا ..

خوليو : (بقلق شديد) كل شىء يمكن أن يحدث ، مرة أخرى نحن على حافة ..

فيليب : حافة ماذا ؟

خوليو : أسوأ شىء .

فيليب : (ينهض) اهدأ يابنى .. هذه الأعصاب ..

خوليو : (معلقا بما يأتى من ناحية الشاطىء) انها تتحدث معهم .

(لحظة أخرى قصيرة جدا من الظلمة الدامسة ، خوليو يفرك عينيه بأصابع مرتجفة) يبدو عليهم الانزعاج . (ظلمة) أو أننى لا أرى جيدا .

فيليب : (يسمع صوته ووقع خطواته) لا تفزعنى ياخوليو !

(ضوء ، يصل فيليب الى جانب خوليو) •

خوليو : انها تعود بسرعة •

فيليب : وهم ؟ أنا لا أراهم • (ظلمة) •

خوليو : ولا أنا (نور) نعم ، هناك على الشـــمال (ظلمة)

فيليب : انهم يركضون •

خوليو : كانوا يركضون ، كانوا يركضون (نور) •

فيليب : (يرفع صوته) ماذا حدث يا بيرونكا ؟

(تدخل بيرونكا من الباب الزجاجى ، ظلمة ، صمت) •

بيرونكا : حادثة •

خوليو : لمن ؟ (صمت) •

فيليب : لمن يا بيرونكا ؟

بيرونكا : لـ •• نوريا

فيليب : (صارخا) لنوريا ؟

(خلال اللحظات القادمة تتعاقب ومضات النور مع لحظـات الظلمـة القصـيرة السريعة غير

المضطردة ، ملامح الثلاثة وحركاتهم تبدو وكأنها لأشباح) .

بيرونكا : فى المنتزه .. حافة جهاز القفز ارتطمت بشىء تحت الأعشاب فانفجر .. بالتأكيد قنبلة مدفونة منذ سنوات طويلة .. هنا أيضا كانت هناك حرب .

فيليب : (صائحا) لا ..

خوليو : (يخفض صوته) ماتت ؟

فيليب : يا الهى ، أنا الذى قتلتها .

بيرونكا : لا . لا . مازالت تعيش ..

فيليب : تعيش .. أريد أن أراها .

(يخطو بضع خطوات ، توقفه بيرونكا) .

بيرونكا : لا تذهب .

فيليب : انها ابنتى .

بيرونكا : ليست فى المنزل ، حملوها الى المستشفى .. مشوهة ، ربما لا تعيش .. (بحشرجة يقترب فيليب من الأريكة ويرتمى عليها ، ظلمة تطول قليلا ثم يعقبها وميض نور طويل ينظر أثناءه

خوليو الى أبيه بعين جاحظة ثم يطلق قهقهة مرة جافة غير منتظرة ، بعد ذلك ظلمة مطلقة ولا يعود النور مرة أخرى الى خوليو ، صمت) .

فيليب : (بصعوبة) تتربص بنا فى الهواء وتحت الأرض، نعم ، مازالت الحرب قائمة . (تشع الجدران ظلالا شاحبة مخضرة تتخلل شبكة شقوقها).

بيرونكا : (منزعجة) خوليو . ماذا حدث لك ؟

(خوليو لا يجيب ، يسلط كشاف ضوء قوى على الرجل المعذب ببطء فيبدو الظلام المحيط به ، يقف قرب الأريكة بجانب فيليب رافعا يده اليسرى وممسكا بالخنجر الصغير ، يلاحظ وجود النظارة على عينى فيليب لكنه ينظر بخوف الى ضحيته القديمة ، كذلك يلاحظ فى الأرض البريق البنفسجى للفجوة المستطيلة ، وجسد انسانى مشوه وان كان غير محدد المعالم تماما يتخايل الآن فيها ، وعندما يتضح أكثر فى ضوء نور متزايد نتبين أنه نوريا التى ترتدى لباس البحر ، ولا نكاد نرى وجهها لأنها تنظر

الى فيليب • كنل من الدم الجاف المتخثرتنس شعرها الذى يبدو الآن بطريقة غريبة وكأنه فضى • ينهمر الدم من رقبتها وظهرها وذراعيها• تظهر فى السقف الآن ـ وان كانت لا ترى بوضوح ـ أعداد كبيرة تشبه كوكب الزينة المتحرك الذى كان فى الحجرة وتبدأ فى الدوران ببطء ••

تتحدث بيرونكا فى الظل القريب من خلفية المسرح) •

خوليو ! •• انظر الى ! (عندئذ تسمع استغاثة فيليب المتعجلة) •

فيليب : بيرونكا •• خوليو •• أغيثونى !

(يلتفت خوليو ناحية أبيه دون أن تتضح صورته من الظلال المتكاثفة •

بيرونكا : (تقترب من الأريكة وعليها نور ضعيف) هل تشعر بالتعب ؟

(يضع الرجل المعذب الخنجر الذى كان يمسك به فى قلب فيليب) •

فيليب : (وهو يختنق) ألم •• رهيب •

(يغرس المعذب الخنجر ببطء شديد فى صدره) •

خوليو : (يقترب من الأريكة) بيرونكا •• هناك دواء على المدفأة •

بيرونكا : نعم (صورتها العائمة فى الظلمة تخف بنعومة الى اليسار) •

فيليب : ليست الأقراص الصغيرة•• علبة أخرى أقراصها كبيرة •• ضعى واحدا منها تحت لسانى •• بسرعة •

(لا يزال الشبح يغرس السلاح ، جسم فيليب يرتخى فى حركة منتفضة خفيفة تشبه ما يحدث فى الأحلام ولكنه لا يقع) •

الآن أفهم •• نعم ، أنتم آلهة •

(يعود جسمه ليتخدر ويظل جالسا فى سكون

مطلق ، يستل الشبح الخنجر رويدا رويدا وكان قد غرسه حتى مقبضه ثم يعتدل فى وقفته ويظل متصـــلبا لا يريم بعينين جاحظتين تحملقـــان فى الفراغ ، الزينات تتحرك بسرعة) .

بيرونكا : (تقف فى شبه ظلام قرب الأريكة) لا أستطيع أن أفتح أسنانه ياخوليو .

خوليو : ضعيها تحت شفتيه .

بيرونكا : هذا ما أفعله الآن .. لكنه لا يتحرك .

(هذه الحركات غير مرئية ، يتحسس خوليو حتى يصل الى أبيه ويلمس جسده) .

خوليو : أبى .. !

بيرونكا : سيتأخر مفعول الدواء ..

(ينحنى خوليو باحثا عن صدر أبيه ثم يضع عليه أذنه ، يتناول احدى يديه ويجسها دون أن يكف عن الانصات) .

خوليو : (يعتدل) لن يكون له أى مفعول .

بيرونكا : أهذا ممكن ؟

خوليو : (بانفعال مكتوم) بيرونكا ، بجانب التليفون أظن أن هناك بعض العناوين .. اتصلى فورا بأحد الأطباء .. وأيضا ..

بيرونكا : بأخيك ؟

خوليو : أرسلى اليه برقية ، يجب عليه أن يحضر .. بعد هذا علينا أن ننادى الخدم كى ينقلوه الى حجرته .

بيرونكا : سأقوم بكل شيء نيابة عنك .. (يلاحظ فى صوتها نبرة تساؤل) ان كنت لا ترى ..

خوليو : لا أرى الا أشباحى .

(تئن بيرونكا بصوت منخفض وتخرج من الباب الخلفى ، يتحسس خوليو فتعثر يده بركبة أبيه، يجلس مرتجفا على الأريكة ، يبدو من اتجاه نظرته أنه يبحث عن الزينات المتحركة ثم يحدق فى شبح نوريا) .

هل أنتم هنا فى الحقيقة ؟ .. لم أعد أفهم شيئا .. أجيبوا .. اعطونى أى علامة ..

(لا تتحرك الأشباح ، يبتسم خوليو بحزن) .
لا ينبغى لى أن أجن وأتحدث اليكم .. أنت ،
ربما تكونين قد فارقت الحياة يا أخت ، وهذا
أحسن لك ، فبدون أن تدركى كنت أسيرة فى
شرك ذهبى متعفن ، وكنت أنا أحبك لأنك
مازلت بريئـــة ولو أنقذوك فستفتحين عينيك
لكن بثمن باهظ مريع لا يتحرك الشيب يتسلل
الى رأسك .. أغمضيهم الى الأبد .

(صمت ، شبح نوريا يرفع يده اليمنى ويمدها
فى ابتهال ، يضطرب خوليو عندما يظن أنهـــا
تبتهل اليه هو ، شبح الرجل المعذب يتحرك
الخنجر الصغير على المنضدة بدون ضجة ويتقدم
نحو الفجوة مادا يده اليسرى ، يتحسس خوليو
الخنجر الصغير بقلق مفاجىء ، تأخذ نوريا فى
الدوران كلما اقترب منها الشبح المعذب ، كانت
تناديه هو ، وسرعان ما تلتقى يداهما ، شبح
نوريا ينتصب الآن مواجها للنظارة ويبدأ فى
الهبوط وهو يقود الشبح المعذب الذى يتبعه

فى نفس الوقت الذى يتلاشى فيه الضوء من فوقهم وتظلم الفجوة • الزينـــات المعلقة أكثر اضاءة الآن وهى تدور فترش من حولها شررا تتخايل فيه ألوان قزحية) •

أنت أيضا أعمى الآن يا أبى وأصم ، انتهى احتضارك ، وأنا •• كنت أحبك أيها المجرم المنافق الحقير ، كنت أحبك وجئت •• لأقتلك! لأننى أنا الذى جعلتك تمـــوت ، كل الأبناء يقتلون آباءهم ، مع أنهم لا يشرعون فى وجههم أى سلاح ، هل كان موتك هو الوليد المشوه لحسدى ؟ أم كان هو العقاب الذى جاء به ابنك نفسه من الماضى ؟ •• ربما الأمران معا ، الأمران من خلال عمى واحد •• مطلق ، لن أعرف أبدا لماذا عميت ، كل ما أعرفه فى نهاية الأمر هو أننى لست الها ، بل أنا مريض فى عالم مـــريض ، لو كان آلهـــة آخـــرون •• سيصلون ذات يوم • لست أفضل منك ، أنا أيضا عذبتك حتى مت ، لكنها هى سليمة ••

مرضها الوحيد أنها .. أحبتنى ، وقد بقى لى هذا الأمل ، أن تصبح سلامتها لى .. أمل خجول ضعيف كأنه لصبى عاجز متلهف على والديه . وداعا .. استرح ، أنا لن أستريح !

(يخفت الضوء قليلا ، تعود بيرونكا للظهور من ناحية الستارة وتصل الى منتصف المسرح)

بيرونكا : (بصوت هادىء) أنادى عليهم كى ينقلوه ؟

(يزداد الضوء على وجهها) .

خوليو : نعم .. الآن .

(ينهض ، شبح فيليب يقوم هو الآخر عندما يكون خوليو قد استوى فى وقفته يفكر فيه خوليو بخوف ثم يتحسس بعصاه ويبحث عن بيرونكا التى تتقدمه . يتعانقان ، شبح فيليب يذهب خلف خوليو ويتوقف بجانبه) .

بيرونكا : سترى مرة أخرى ياخوليو .

(يدير خوليو وجهه ناحية الشبح الذى ينكر ذلك) .

خوليو : بيرونكا ! • لو كنت لن أشفى •• هل تريدين أن تكونى عينى ؟

بيرونكا : تعرف أننى سأبقى الى جانبك •• مادمت تريد ذلك •

خوليو : (يضمها الى صدره) سنذهب ، لا بد أن هناك واجبا على وجه الأرض ينبغى علينا أن نقوم به •

بيرونكا : سنبحث عنه •

خوليو : أنا لن أرسم •

بيرونكا : ستستعيد نظرك ، وتعود للرسم !

(شبح فيليب يهز رأسه مستنكرا) •

خوليو : لقد قلت ذلك يا بيرونكا ، ربما لست رساما ، سأرسم فى العدم مثلما أفعل الآن •• سأرسم أشباحى حتى لا تبقى أمامى الا السبورة •• السوداء •

بيرونكا : لكن بعينين مفتوحتين !

(تدير وجهه ناحية اليمين فيصبح قبالة وجه أبيه) •

انظر الى الشاطىء يتوهج بالألوان وبالحياة •

خوليو : رسم آخر فى العدم •

بيرونكا : الشمس مشرقة ، متألقة ، حارة ، انظر اليها ، يمكنك أن تراها ، عليك أن تنجح فى ذلك الآن !

(صمت قصير ، يرتجف الضوء الواقع على بيرونكا وفيليب ، يسمع هدير الموج ، يتأمل خوليو ــ من داخل ظلمته ــ الوجهين اللذين ينطفئان) •

خوليو : أب وأم •• أن لا يوجد آبدا بعد ذلك أطفال أيتام •

بيرونكا : ماذا تقول ؟

خوليو : ساعدينى كى أومن بهذه الشمس يا بيرونكا •• بهذا الرسم الآخر ••

بيرونكا : وبرؤاك أيضا •

خوليو : لا •

بيرونكا : هذه الخيالات التى تفزعك هى التى تجعلك تكبر •

خوليو : انها جنونى •

بيرونكا : ستصبح قوتك وسرك عندما تراها بعين مفتوحة •

(بحنان هائل) سأساعدك كى تفتحهما ، مادمت الآن تعرف هوان نفسك •

(يتعانقان بيأس شديد ، ظلمة حالكة) •

خوليو : ولو جاء الدمار قبل ذلك ••

بيرونكا : سنموت ونحن نسير •

خوليو : بيرونكا !

(تطفأ الأنوار ، هدير البحر يغزو المسرح) •

ستار

النهاية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٦/٥٢٠٣

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ١٨٠ ٨

منتديات مكتبة العرب

http://www.library4arab.com/vb

٣٠ قرشـــا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب